الفصل الثاني:

الإنجليزية: بوتقة انصهار اللغات الأوروبية

الإنجليزية هي الذهب الأسود لبريطانيا مع أكثر من بليون جنيه إسترليني كدخل سنوي مستحصل من تعليم اللغة الإنجليزية في المملكة المتحدة. وهي اللسان الوطني لنحو ٣٠٠ مليون إنسان. وهي اللغة السائدة لسكان اثنتين من ٦ قارات هي (أمريكا الشمالية وأستراليا)، وتمتلك جزء كبيراً من المتكلمين في القارة الثالثة وهي (أوروبا)، وتمتلك عدداً كبيراً آخر من المتكلمين بها في القارة الرابعة وهي (إفريقيا). لذا تُعد اللغة الإنجليزية أهم لغة ثانوية في العالم. فالانجليزية هي اللسان الأم لـ ٣٠٠ مليون من البشر، بينما يستعملها ٣٠٠ مليون إنسان آخرين لغةً ثانية. والإنجليزية حالياً هي اللغة الرسمية أو شبه الرسمية لأكثر من ٧٠ قطراً ودولة حول العالم، تليها الفرنسية ثم العربية، وبينما تتخلف الإسبانية والبرتغالية والألمانية للوراء بمسافة طويلة[٤].

بالرغم من أن اللغة الإنجليزية لغة تصريفية، لكن الإنجليز غير صبورين للتفاصيل غير النافعة، ولهم موهبة فطرية في الارتجال والخلط. وهذه المواصفات هي ما تدين له بالاختفاء شبه الكامل من اللغة الإنجليزية لجميع الآليات التصريفية التي تثقل كاهل اللغات الأوروبية الأخرى، والاستعاضة عن الجنس النحوي بجنس طبيعي، والحرية والليونة في الإعراب، والاحتفاظ العنيد بالتهجية الصناعية الذي يخفق أحياناً وعلى نحو كبير في التعبير عن صوت الكلمة المنطوقة.

منذ عصر النهضة والاكتشافات الجغرافية الكبيرة، استعيرت الكلمات من كل لغات العالم، مما أدى إلى عمل قومي، كمعجم أكسفورد الإنجليزي الكبير الذي يحوي عدداً من الكلمات أكبر مما سجلته اللغات الأوروبية الأخرى، فال ٢٠,٠٠٠ كلمة الموروثة من الأنجلوساكسون قد زادت إلى قرابة نصف مليون، بالرغم من أن القليل من الناس لا يحتاجون لاستعمال أكثر من جزء من العشرين جزءاً من المفردات الكثيرة. حالياً، مفردات العامل الزراعي هي أكثر من المفردات التي استعملها شيكسبير في كلّ رواياته وأكثر ثلاث مرات مما استعمله ميلتون (أديب وشاعر إنجليزي) في كلّ قصائده.

تاريخ وجيز للغة الإنجليزية[٥][٦][٧]

١. **الإنجليزية القديمة ما قبل التاريخ:** هي المرحلة التي سبقت كتابة الوثائق بنحو ٤٥٠–٧٠٠ بعد الميلاد. في هذه المرحلة، انحرفت الإنجليزية عن زميلاتها الأخريات للغات الجرمانية لتصبح لغة منفصلة.

فعندما حلّ الرومان في بريطانيا في السنة ٥٥ قبل الميلاد، كان المواطنون البريطانيون يتكلمون لغةً عاشت حتى اليوم في الألسن السلتيّة: الغيليّة (اللغة الممثلة في الإيرلنديين العصريين)، الاسكتلندية الغيلية (التي ينطقها سكان جزيرة الرجل)، وكيمري (اللغة الممثلة في الويلز، كورن والفرنسيين البريطانيين). هذه اللغات السلتيّة منفصلة عن الإنجليزية، والكلمات الوحيدة التي بقيت في الاستعمال أنجلترا توجد في أسماء المواضع القديمة مثل: (أفون) بمعنى نهر، و(أبر) بمعنى فتحة النهر، اثنان من البقايا البعيدة.

احتل الرومان بريطانيا في السنة ٤٣ بعد الميلاد، وخرجوا منها نهائياً نحو ٤١٠ بعد الميلاد. وبين هذين التاريخين بنوا عدة مدن، بنيت على مواقع مخيّماتهم (العسكرية) الأصلية، وكان الأصل اللاتيني للمخيم هو (كاستر)، وما تزال حتى اليوم هناك عدة مُدن بأسماء تنتهي بـ (كاستر) أو شيستر)، لتذكر بالاحتلال الروماني: فمثلاً: مانشيستر، دورشيستر، لانكاستر، شيشيستر لكن لا توجد كلمات رومانية أخرى في الإنجليزية من تلك المرحلة (عدا أسماء المدن).

٢. **الإنجليزية القديمة:** مؤرخو اللغة يسمون لغة الأنجلوساكسون بالإنجليزية القديمة، نسبةً للقبائل الجرمانية التي استعملتها؛ وهي المرحلة الممتدة من ظهور الوثائق المكتوبة بالإنجليزية إلى الغزو النورماندي في عام ١٠٦٦م وتمتد أحياناً إلى ١١٥٠ بعد الميلاد؛ وتختصر في المعاجم بـ (O. E.).

عندما تركت آخر سفينة رومانية الشواطئ البريطانية نحو عام ٤١٠ بعد الميلاد، كانت ذلك إشارة لنزول رجال القبائل الجوعى من شمال أوروبا الذين يبتغون كنوز الجزر البريطانية. جاءت قواربٌ يحملها من المهاجرين المتشوقين نترى من: الإنجلز، الساكسون، الجوتز، الفريسيون، والإفرنج. وهكذا بدأ الاجتياح الانجلوساكسوني. والبريطانيون المحليون أو السلت قد دُفعوا للأطراف إلى كورنويل، وويلز، واسكوتلندة.

وأثناء ذلك كان هناك نوع من الغزاة الساكسون المسعورين لاحتلال كل قطعة من الأرض المجانية للجميع. وكانت اللغة التي جلبوها معهم تسمى الأنجلوساكسونية أو الإنجليزية القديمة. وقد جاءت أقدم كلمات الإنجليزية من هذه الحقبة. وهي كلمات قصيرة قويّة وأرضيّة. فأسماء الحيوانات والطيور والأشجار وعناصر الحياة هي انجلوساكسونية الأصل. الخنزير، البقرة، الغنم، الشمس، القمر، النجمة، أم، أب، ماء، أرض، حياة، موت، كل هذه كلمات إنجليزية قديمة. وهناك أسماء مدن لا تحصى ترجع للغزو الأنجلوساكسوني.

نموذجياً، المحمولون حمل قارب من الساكسون كان ولاؤهم لقائدهم، واسمه ما زال مقترناً باسم المواضع التي قطنوها. الكلمة الساكسونية (اجناس) تعني الأسرة أو التابعون. لذا فحين هبط حملُ قارب وقائدهم اسمه (توتا، ووكا، هيفر، او بادا) خُلّدوا في أسماء البقعة التي قطنوها كمملكة صغيرة. وهذا الاسم يتبعه (اتج) لتُري أن أسرة «توتا» او اتباع «ووكا» قد استقروا معه هناك. ثُوتينج، ووكنج، هيفرنج، وبادنجتون، هي أمثلة نموذجية.

«هام» تعني «هوم» أي (بيت من العربية حام حمى أو حومة) أو «هومستيد» (بيت الأجداد)، «تون» تعني حظيرة مُسيّجة، ومن ثم صبحت تعني قرية أو بلدة. لذا فالقرية باسم دونينجتون تعني «البلدة التي يقطنها اتباع دونا».

٣. **الإنجليزية الوسيطة:** تمثل المرحلة من الغلبة النورمانديّة لدخول المطابع البريطانية في ١٤٧٦. وقد شهدت الغلبة استعاضة الإنجلوساكسونيّة القديمة الأرستقراطية بلغة الفرنسيين الأوروبيين العلية. بالرغم من بقاء استعمال اللغة الإنجليزية على نحو واسع في الكلام، إلا أنها فقدت موقعها القومي؛ فقد استخدمت وظائف التوثيق اللغة اللاتينية، التي كانت تنتعش في غرب اوروبا، بينما استخدمت الوظائف الأدبية أنواع الفرنسية.

قد يكون أشهر كاتب في العصور الوسطى هو شوسر (١٣٤٠–١٤٠٠) الذي كتب (حكايات كانتربري) عام ١٣٨٠م. وهذا كُتب بالإنجليزية الوسيطة، وبالرغم من شكلها الغريب لأول وهلة، فالقُرّاء المعاصرون يستطيعوا قراءته وفهمه دون صعوبة. بينما الإنجليزية القديمة تحتاج إلى خبير لفهمها.

وفي نحو عام ١٥٠٠ بعد الميلاد أصبحت الإنجليزية (معاصرة) بالرغم من أن التهجية مختلفة غالباً، والمفردات طبعاً أصغر من إنجليزية الأيام الحالية؛ لأنها كانت تتعامل مع نمط حياة بسيط.

وبهذا التاريخ بدأ التحام الساكسوني بالفرنسي النورماندي ليكوّن لغة جديدة؛ وقد نُطق بها وكُتبت بين عامي ١١٥٠ إلى ١٥٠٠م، وسُميت بالإنجليزية الوسيطة – وغالباً ما تختصر في المعجم إلى (M. E.).

٤. **الإنجليزية العصرية المُبكرة:** هي المرحلة من عام ١٤٧٦م، حتى بداية القرن الثامن عشر. وبإدخال كاكستون للطباعة إلى إنجلترا نهاية القرن الخامس عشر أصبحت الإنجليزية لغةً دارجةً تستعمل كلّ الوظائف اللغوية. وبتأسيس الدولة البريطانية الحديثة بعد عقد الاتحاد بين إنجلترا، ويلز، واسكوتلندة عام ١٧٠٧م، يمكن عدُّ ذلك مؤشراً لانتهاء المرحلة العصرية المُبكرة[٥].

٥. **الإنجليزية العصرية المتأخرة:** مدتها من بداية القرن الثامن عشر إلى اليوم.

عناصر اللغة الإنجليزية[١][٣]

الإنجليزية القديمة (الأنجلوساكسونية والإسكندنافية النرويجية القديمة)

الأنجلوساكسونية: منذ مجيء الدنماركيين، كانت الإنجليزية تُلقي قواعدها النحوية، بسبب الكسل اللغوي جزئياً، وبسبب الاتصال بالنرويجية القديمة والفرنسية القديمة أيضاً. وقد صرح برناردشو: (إن النحو غير مفيد هو طاعونٌ مُدمّر). ولا سيما صفة التعويض التدريجي للجنس النحوي بالجنس الطبيعي، فهذه قطعة من الفطرة السليمة العلمية التي تقف فيها الإنجليزية وحدها بين اللغات الأوروبية. ففي الأنجلوساكسونية «موث» أي: الفم هو مذكر؛ و«نوسو» أي: الأنف مؤنث؛ و«إيج» أي: عين، مُحايد (لا مذكر ولا مؤنث): الجنس الذي مازال موجوداً فيما يقابله من الكلمات الألمانية. فالأنجلوساكسونية هي لغة عوام الناس. والأسماء المؤنثة ليست لها مخاطع في نهاية الكلمات في الأنجلوساكسونية. ولكن تدريجياً تبنّتها في الإنجليزية الوسيطة: «ثورس – داي» من الإله ثور، لكن «فراي – داي» من الآلهة فريا. هناك نهايات الجمع المختلفة التي أصبحت في الإنجليزية الوسيطة: es – s، والنجاح الأخير ساعدته الفرنسية دون شك بالجمع بـ s. ومن الجمع بـ en بقيت فقط oxen (أي: ثيران، جمع OX): لأن brothern (أخوان) وChildren (أطفال) ليستا بهذه البساطة.

تنصير بريطانيا: جاء أوغسطين من روما في عام ٥٩٧ بعد الميلاد، وحَلّ في كينت مع أربعين من الرهبان المبشّرين بنيّة أكيدة على تحويل بريطانيا إلى النصرانية. لحُسن حظه، استقبله اثيلبيرت ملك كينت بحفاوة؛ وبعد هذا فإن زوجة اثيلبيرت الملكة بيرثا كانت في ذلك الحين نصرانية. وعُمّد اثيلبيرت نفسه، وأصبح أوغسطين رئيس أساقفة كانتربري. وبمرور الزمن توفي أوغسطين بعد سبع سنوات، وأصبحت كل مملكة كينت نصرانية، وبمرور قرن تحوّل الأنجلوساكسون إلى النصرانية.

أهمية هذا في اللغة الإنجليزية هو أن عدة كلمات لاتينية كان جُلّها في البداية مرتبطاً بالكنيسة، ودخلت بعد ذلك مفردات لاتينية عامة إلى الاستعمال. ومن كلمات الكنيسة من ذلك الزمن هناك: عابد (رئيس الرهبان)، صدقة، مذبح، شمعة، حواري، ترتيلة، أثر، قاعدة، مقام، معبد. ومن الكلمات اللاتينية العامة التي أضيفت إلى

اللغة الإنجليزية هناك: قلنسوة، جوارب، ثوب أرجواني (رمز الرفعة لرتبة الكاردينال)، مدرسة، ملاكي (لون الزنبق الأرجواني)، نبات، انجر، حمى.

النرويجية القديمة: الغزوات الإسكندنافية (الفايكنج والدنماركيون): بدأت موجات الهجوم الإسكندنافية على إنجلترا في عام ٧٨٧م، بالرغم من أن لغتهم (النرويجية القديمة) كانت مشابهة للساكسون، وكانت هناك مثلاً فروق في اللفظ. فالإنجليزية القديمة لها غالباً صوت (شين) الليّن، بينما الإسكندنافيون لهم صوت (سك) المغلّظ. لذا في الإنجليزية القديمة شيب (سفينة)، شل (سوف)، فيش (سمك)، لكن الكلمات الإسكندنافية تستبقي غلظة سكاي (سماء)، سكنّ (جلد)، سكيل (مهارة)، سكريب (يكشّط)، وسكرب (يمزق) باستمتاع. فالإنجليزية القديمة أعطتنا شيرت (قميص) بينما النرويجية القديمة المقابلة جاءتنا بـ سكيرت (تنّورة). وفي الحقيقة هما نسختان معدلتان لكلمة واحدة.

لقد كان ما نطلق عليه بالدنماركيين جنساً من أصل واحد، على الرغم من مجيئهم من الدول الاسكندنافية الثلاث. وكان النزاع بين الإنجليز وهؤلاء الغزاة الذين نسمّيهم بالفايكنج دينياً لحدّ ما؛ لأن الدنماركيين كانوا ما زالوا وثنيين.

ربما أوضح دليل للغزاة الفايكنج يوجد في أسماء المواضع المنتهية بـ (بي، by)، وهي كلمة دنماركية تعني حقلاً أو بلدة. وعندنا أكثر من (٦٠٠) من هذه مثل (دربي، ركبي، كرمسبي، وتبي). وعناصر أسماء المواضع الاسكندنافية الأخرى هي (ثورب) وتعني قرية؛ و(توفت) وتعني مبانٍ الحقل. لذا فأسماء المواضع المنتهية بـ (بي – by)، (ثورب – thorpe)، (ديل – dale) دوماً تعني مقرّات دنماركية.

نهاية التلاحم بين اللغتين (النرويجية القديمة والأنجلوساكسونية) انعكست في مفردات البيت، ويوميات الشخوص، وإسهامات النرويجية القديمة. فلها تنتمي الأسماء الشائعة مثل: غضب، بيضة، تابع، زوج، ساق، يحرث، جذر، مهارة، سماء، التمان، شباك، جناح، وحتى كلمات القربى مثل: أخت. والأوصاف مثل: العليل، وفضفاض، وواطئ، وحليم، ومفرّد، ونتن، وضئيل، وقبيح، وخطأ، ومثل الأفعال: (صرّح، يسبك، يغرق، يضع، يأخذ، يزدهر). كذلك جاءت الضمائر من النرويجية القديمة مثل: هم، لهم، وحروف الجر مثل: إلى، ومن، والأخير بقي كظرف (غادر رائح)، وأدخل الفايكنج عدداً من الكلمات الإدارية مثل: قانون، ولكن أستعيض عن أكثرها بمصطلحات الفتح الفرنسي.

في نهاية الحقبة الأنجلوساكسونية أي نحو عام ١١٥٠م، كانت لغة المخاطبة للرجل الإنجليزي مزيجاً من لسانين جرمانيين متقاربين، والمفردات الأصلية اغتنت جداً، ونظام الصرف المعقد للأنجلوساكسونية قد بُسّط لدرجة لا مثيل لها بين اللغات الجرمانية الأخرى.

والحديث اليومي لا يزال مبنياً ومغذى بالإنجليزية القديمة. كل الكلمات الآتية هي من الإنجليزية القديمة: هو، أنت، رجل، ابن، ابنة، صديق، بيت، شراب، هنا، هناك، الـ، في، على، داخل، بـ، من، جاء، يذهب، غنم، راع، ثور، أرض، حوش، حصان، أرضيّة، يحرث، خنزير، فأر، كلب، غابة، حقل، يعمل، عيون، آذان، فم، أنف، مرق، سمك، دجاج، رنكه (سمك من جنس السردين)، حبّ، شهوة، يشبه، يغني، طربٌ، مَرَحٌ، ليلة، يوم، شمس، كلمة. هذه الكلمات هي قاعدة الإنجليزية. تستطيع المحادثة بذكاء بالإنجليزية القديمة، ونُدراً ما نحتاج أن نتحرف عنها. تقريباً كلّ الـ (١٠٠) كلمة الشائعة في اللغة الإنجليزية عالمياً جاءت من الإنجليزية القديمة. هناك ٢ من النرويجية القديمة (هم، لهم، بهم)، وهناك كلمة فرنسية واحدة (عدد) في المرتبة الـ ٧٦[٣].

منة الكلمة: هي ١. الـ ٢. من: ٣. و: ٤. مفرد: ٥. إلى: ٦. في: ٧. هو: ٨. أنت: ٩. ذاك: ١٠. هي: ١١. هو: ١٢. كان: ١٣. له: ١٤. على: ١٥. هم: ١٦. كـ: ١٧. مع: ١٨. له: ١٩. هم: ٢٠. أنا: ١٢. في: ٢٢. يكون: ٢٣. هذا: ٢٤. عدهم: ٢٥. من: ٢٦. أو: ٢٧. واحد: ٢٨. عنده: ٢٩. بـ: ٣٠. كلمة: ٣١. لكن: ٣٢. بلا: ٣٣. ماذا: ٣٤. كلّ: ٥٣. كانوا: ٣٦. نحن: ٣٧. متى: ٣٨. لكم: ٣٩. يستطيع: ٤٠. قال: ٤١. هناك: ٤٢. يستعمل: ٤٣. ما: ٤٤. كلّ واحد: ٤٥. التي: ٤٦. هي: ٤٧. يعمل: ٤٨. كيف: ٤٩. بهم: ٥٠. إذا: ٥١. سوف: ٥٢. فوق: ٥٣. الآخر: ٥٤. حول: ٥٥. خارج: ٥٦. عدة: ٥٧. ثم: ٥٨. مهم: ٥٩. هؤلاء: ٦٠. لذا: ٦١. بعض: ٦٢. لها: ٦٣. وذ: ٦٤. يصنع: ٦٥. يشبه: ٦٦. ـه: ٦٧. داخل: ٦٨. وبت: ٦٩. عنده: ٧٠. شاهد: ٧١. اثنين: ٧٢. اكثر: ٧٣. يكتب: ٧٤. يذهب: ٧٥. يرى: ٧٦. عدد: ٧٧. لا: ٧٨. طريقة: ٧٩. استطاع: ٨٠. ناس: ٨١. لي: ٨٢. من: ٨٣. أوّل: ٨٤. ماء: ٨٥. كائن: ٨٦. صرخ: ٨٧. منْ: ٨٨. زيت: ٨٩. لها: ٩٠. الآن: ٩١. وجد: ٩٢. طويل: ٩٣. تحت: ٩٤. يوم: ٩٥. فعل: ٩٦. يحصل: ٩٧. يجيء: ٩٨. عملَ: ٩٩. قد: ١٠٠. جزء[٣٠].

التأثير الفرنسي: عام ١٠٦٦ بعد الميلاد، هو تاريخ خطير في التاريخ الإنجليزي عندما قهر الدوق وليام النورماندي الملك هارولد في معركة هيستنجز، وتربّع على عرش إنجلترا ملكا وليام الأول. ثم إن لاحتلال الجزر البريطانية من قبل النورمانديين تأثيراً مُزلزلاً على اللغة، وكان الذي حصل بمنزلة تطعيم لغة واحدة كاملة بأخرى. وكانت فرنسا النورماندية نفسها مبنيّة كثيراً على اللاتينية، وقد أخذت اللغتان قروضاً لتلتحم كليّاً بعضها إلى بعض. لكن النتيجة النهائية كانت لغة اليوم بمفردات هائلة – حرفياً تعد ضعف اللغات الأخرى حجماً. والإنجليزية استثنائياً من بين اللغات الأوروبية تمتلك اعتيادياً اختياراً كبيراً من المرادفات: منظومة كلمات مبنيّة على الميراث الأنجلوساكسوني، وأخرى مبنيّة على الفرنسية اللاتينية/ النورماندية.

حتى تلك الكلمات الأوليّة: خنزير، بقرة، غنم، لها مترادفات. لقد لوحظ بسخرية أن هذه الحيوانات تحتفظ بسماتها الساكسونية عندما تكون في الحقل، وهي بعناية الفلاحين الساكسون؛ لكنها تكتسب أسماء نورمانديّة عندما تُطبخ وتُقدّم للأسياد النورمان[٣١]:

لذا:

الخنزير يتحول إلى پورك	العجل إلى فيل
البقرة إلى بيف	الغزال إلى فينيسُن
الغنم إلى متُن	

ثم إن كلمات الساكسون القصيرة ترادفها اللاتينية (انظر تحت **التأثير اللاتيني**) مع فروق دقيقة[٣٢]: لذا في الإنجليزية القديمة:

شمس لها صفة لاتينية سولار	مائيّ تصبح اكواتيك
قمر له لونار	أرضيّ تصبح تيريستيال
نجمة لها ستيلا	حيويّ تصبح فايتال
اميّ ليست تماماً مثل ماتيرنال	مميت تصبح مورتال
ابويّ تصبح باتيرنال	

بدأت مع الفتح النورماندي واحدة من الظواهر المدهشة والشائقة في التاريخ اللغوي: وهي التوحد الكامل بين لغتين، إحداهما جيرمانية صافية (النرويجية القديمة المندمجة بالأنجلوساكسونية)، والأخرى لاتينية المنشأ (الفرنسية النورماندية). قبيل ١٠٦٦م حتى ١١٥٠م، عندما بدأت ملامح الإنجليزية الوسيطة، فإن الكلام كان سليطاً من الأنجلوساكسوني الأصيل مع النرويجية القديمة. لذا فمنذ الفتح، أصبحت بالتدريج، مندمجة مع الفرنسية القديمة، ولكنها حرّفت كثيراً بالشكل والصوت.

وفي الحفل المسخر لـ (ميلاد المسيح) عام ١٠٦٦م، تُوِّج وليام في كنيسة ويستمينستر الكبيرة. وتمت المراسيم بالإنجليزية واللاتينية. تكلّم وليم الفرنسيّة في تلك المراسيم. الفرنسيون حكموا ولغة الحكم الفرنسيّة لغة القوة والسلطة والاستعلاء. دقت الإنجليزية، إن إشياع الفرنسية الوسيطة بالكلمات الفرنسية لم يكن نتيجة مباشرة للفتح النورماندي. فالغزاة لم يشكلوا أغلبية، وإذا لم تدعم لغتهم، فسوف تتبنّى تدريجياً لغة المقهورين مثل أسلافهم الفايكنج الذين تبنّوا الفرنسيّة عندما حوّلوا نيوستريا إلى نورماندي. بعد الفتح بقرون طويلة كانت إنجلترا وفرنسا في اتصال مستمر. وكان وليم وأولاده دوقات النورماندي، ثم إن ملوك بلانتاجينيت حكموا مقاطعات كبرة في فرنسا، وكان جزء من القطر محكوماً من التاج الإنجليزي في أثناء حرب المئة عام، التي بدأت عام ١٣٣٧م.

وكانت هذه القرون مرحلة عقيمة للأدب الإنجليزي؛ لأن الفرنسية في ذلك الوقت كانت اللغة العالمية للتجارة، لذلك مثّلت قناة مباشرة أو غير مباشرة (عبر اللاتيني) للكلمات من أسواق الشرق. كالكلمات العربية التي غذّت الإنجليزية بكلمات مثل: زعفران، مطرح، هزار أي خطر، كافور، الكيمياء، عود، عنبر، شراب، وكلمة (شيك مات) جاءت عن طريق الفرنسية (اشيك مات) التي جاءت بدورها من العربية (شاه مات) بمعنى مات الملك[٣].

ولم تكن الفرنسية حتى عام ١٣٦٢م، لغة القانون والإدارة فقط بل لغة المجتمع المهذب أيضاً، صيحة البلغة (أويز!) هي فرنسية قديمة: اسمعوا (من البقايا الشائقة)، وفي نهاية القرن الرابع عشر كان طلاب المدارس يفسرون اللاتينية بالفرنسية، وكلّ الذين يتطلعون للأناقة الاجتماعية كانوا يمزحون بتعليقات بالكلمات والعبارات الفرنسية، فصديق شوسر (موراال كوز) الشاعر والفيلسوف الذي مات عام ١٤٠٨م، كتب كتاباً واحداً بالفرنسية، وواحداً باللاتينية، وواحداً بالإنجليزية، فالإنتاجات الفكرية كانت ثلاثية اللغة.

قدمّت الفرنسية كلمات الطبقة الحاكمة. الملك والملكة، أما الكلمات المحلية فبقيت كما هي، لكنها استعارت العرش والتاج والصولجان من الفرنسية القديمة. القابُ رؤساء ضبّاط التاج فرنسية مثل: المستشار المارشال (قيّم المراسيم)، والمأمور (شرطي الأمن)، والشيء نفسه ينطبق على معظم كلمات إدارة العدالة مثلاً: القاضي، المحلّفون، قانون الموازين، السجن، الهدف. والأسماء الرسمية للجرائم مثلاً: جناية، الحرق عمداً لصوصية (سرقة). هذه المصطلحات تنتمي للفرنسية القانونية، شكل غير فصيح من الأنجلو فرنسية التي لم تُلغ رسمياً حتى ١٧٣١م. كذلك كلمات المباني وتشمل عقد استئجار، والمستأجر، والوارث. كلمات السلام والحرب فرنسيّة أيضاً مثلاً: حشد استبدلت بالجيش، درع، راية، معركة، قلعة، حصار، برج السيد والسيدة، مدرّس مدرّسة، الخادم، وهي مفردات الطبقة المهيمنة، وهي فرنسيّة.

كلمات الكنيسة تشير إلى تأثير رجال الكنيسة النورمان وهي: دير الرهبان، مذبح، رجال الدين، رواق الدير، مقاطعة إدارة الكنيسة، قدّيس، خطبة. ومن الأفعال نحو: يصلي ويدعو. بينما أسماء الحيوانات المنزلية إنجليزية، لكن اللحم الذي يزودونه له أسماء فرنسية مثل: البيف، المتن، بورك، والفيل، وذلك بسبب أفضلية الطبخ الفرنسي على الإنجليزي، ويمكن القول أن الوجبة الرئيسة لليوم (دينير) فرنسية الاسم، والنوّاقون يحبّون توظيف رئيس طُهاة قائداً لمطبخهم، ثم إن الرياضة الأرستقراطية أعطت الإنجليزية كلمات مثل: المطاردة، أرض الصيد المسيجية، الترشيح، المطاردة بالمقلاع، اقتفاء أثر الطريدة بالشمّ، تدريب الصقر. ومن تمرين الفرسان المباراة، المقارعة بالسيوف، المصارعة. وتُشاهد أفضلية المهندسين المعماريين الأجانب في الممشى (بين الكراسي) في كلمات مثل: (القوس، العمود، صحن الكنيسة، برج محصن، قصر، دعامة، رواق، القبّة) وأسماء العلاقات خارج دائرة الأسرة: عمّ، خالة (أو عمّة)، ابن أو ابنة العم (أو العمّة أو الخال أو الخالة)، ابن الأخ أو الأخت، ابنة الأخ أو الأخت. كلها أسماء فرنسية.

بينما الحرف المتواضعة بقيت إنجليزية، مثل: (الخبّاز، الطحّان، الحدّاد، الحائك)، لكن الحرف المُترفة أخذت أسماء فرنسية، مثل: تاجر الجوخ والملابس، مصنّع التوابل، الخيّاط، وربما في بداية المرحلة عندما وُجدت اللغتان جنباً إلى جنب من دون التحامهما بوصفهما لغة واحدة، أصبح من المناسب إضافة كلمة فرنسية مُفسّرة للكلمة الإنجليزية. ومن الأمثلة الشائعة كلمات مثل:

الأثاث والملك المنقول، القانون والانضباط، الطرق والوسائل، السيد والرب. بعد ذلك أصبح هذا تكلّفاً أدبياً.

كان الانحام كاملاً في أثناء أيام جيفري شوسر (١٣٤٠–١٤٠٠م)، الأمة واللغة كلتاهما توحّدتا، ونبلاء النورمانديين انسل بعد أن كان أجدادهم يحتقرون الإنجليز المهزومين، أصبحوا الآن يتمجدون تحت اسم الرجل الإنجليزي. والطبقة العليا لم تعد فرنسية، ولا طبقة الفلاحين هي الانجلوساكسونية: فالجميع إنجليز. واكتمل التحام اللغتين لدرجة أننا لا نشعر عند استعمال الإنجليزية بأي لكنة أجنبية عند رصف الكلمات الشائعة، مثل: بيع الجملة والأجزاء، المس واخرج (انتقال سريع)، تحرير مخطوط، بركة مقنّعة، وفي عبارات تجانسية تشبه (دون خوف أو مُحاباة، بطئ وأكيد، خراب ودمار)، أو في مركبّات مثل: (شارد الذهن، فقير معدم)، الإنجليز يستطيعون إضافة مقطع إنجليزي لكلمة فرنسية كما في: الدوقيّة، غير بارع، أو مقطع فرنسي لكلمة إنجليزية كما في: تخليص، مأكول (صالح للأكل). والكثير من الأسماء المركبّة مثل: كرسي ذو ذراعين، جدول المواعيد، رجلٌ نبيل (ذو مروءة وشهامة)، الجدّ (الأب الأكبر)، كومنولث (رابطة الشعوب البريطانية بمعنى الفتى المشترك)، هي تشكيلات هجينية.

استمرت استعارة الكلمات الفرنسية بثبات عبر القرون، ففي العهد الطويل للملك لويس الرابع عشر (١٦٤٣–١٧١٥م)، أصبحت فرنسا القوة السائدة في أوروبا، وصارت أساليب السلوك، والأدب، والأزياء الفرنسية تُقلّد في كل مكان. منذ هذه المدة تقريباً تؤرخ أكثر المفردات العسكرية، كلماتٌ مثل: عقيد (كولونيل)، ملازم (ليوتينانت)، لواء (مجموعة من الجيش أي بريجيد)، يستطلع (يستكشف عسكريا)، غارة (أو هجمة عسكرية). ومنذ سلام نيمويجين (١٦٧٨م)، عُدّت الفرنسية اللغة الدبلوماسية لأوروبا، من هنا جاءت الكلمات والتعبيرات مثل: بالون تجريبي (أو مجسّ لمعرفة آراء الآخرين)، القائم بالأعمال (القائم بأعمال السفارة عند غياب السفير)، مسعى تمهيدي، إنكار ومعاكسة، اتفاق دولي. وفي التاريخ الحديث الكثير من الكلمات والعبارات الفرنسية أصبحت إنجليزية متداولة. أضاف لأن الإنجليزية لا تملك مرادفاً مطابقاً مثلاً: العميل المحرّض، تمويه، إشاعة كاذبة (تطلق لتضليل الجمهور)، كليشة (أي وشم الطبع)، انقلاب مضاد، سياسة عدم التدخل الحكومي، غير مبالٍ، عمل تخريبي يقوم به أحد عملاء العدو لتقويض الدفاع، نجاحٌ فخريّ (من دون ربح).

حكم الفرنسيون النورمان مدة ٣٠٠ سنة، جاعلين الإنجليزية اللسان الثالث (اللاتينية كانت لغة الكنيسة القوية) على أرضها. القصة العجيبة هنا هي أن لغة المقهور تبنّت حرفياً قاهرها (في هذه السنين امتصّت الإنجليزية أكثر من ١٢٠٠٠ كلمة فرنسية)، مُحوّلةً لسان قاهرها إلى لسانها هي[١٤].

انظر جدول المقارنة بين أسماء الرُتب العسكرية بين الفرنسية والأنجلو أمريكية والباكستانية والعربية (السعودية المعاصرة)، نلحظ أن أسماء الرُتب العسكرية بالفرنسية هي الأصل للأنجلو أمريكية، وأن الفرنسية هذه أصلها عربي، فالرتب العسكرية: مارشال (صقّال مهرة)، وجنرال (كُلّيّ أي كُلّ الجنس، أي قائد كُلّي للجيش)، وكولونيل (قالون وقمين ومُقلّم، أي مُعظّم). وكابتن (قطّان أو قيّان، أي الأمين)، وسارجينت (سارج الحصن من الشرطة والجيش أو صَرف: مُدبّر الأمور)، وكوربورال أو كابورال (قُبّعاتي أي قائد ذوي القُبّعات)، وسولدات (أي سُلطة أو جندي بالفرنسي). إذاً أصل الرتب العسكرية الفرنسية (عربي)، والفرنسية هي أصل

للأنجلوأمريكية (هذا بغض النظر عن المسميات العربية المعاصرة لهذه الرتب في الجدول: لأنها مُقدّرة حسب المشابه المقارنة كما في المملكة السعودية وباكستان).

FRENCH	ANGALO – AMERICAN	PAKISTANI	ARABIC
MARSHAL	FIELD – MARSHAL	MARSHAL	مُشير (مهيب) (تاج وسيفان و٣ نجوم)
GENERAL D"ARMEE	GENERAL	GENERAL	فريق اول (تاج وسيفان ونجمتان)
GENERAL DE CORPS – D"ARMEE	LIEUTENANT GENERAL	LIEUTENANT GENERAL	فريق (تاج وسيفان ونجمة)
GENERAL DE DIVISION	MAJOR GENERAL	MAJOR GENERAL	لواء (تاج وسيفان)
GENERAL DE BRIGADE	BRIGADIER GENERAL	BRIGADIER	عميد (تاج و٣ نجوم)
COLONEL	COLONEL	COLONEL	عقيد (تاج ونجمتان)
LIEUTENANT COLONEL	LIEUTENANT COLONEL	LIEUTENANT COLONEL	مقدم (تاج ونجمة)
COMMANDANT	MAJOR	MAJOR	رائد (تاج)
CAPITAINE	CAPTAIN	CAPTAIN	نقيب (٣ نجوم)
LIEUTENANT	FIRST LIEUTENANT	LIEUTENANT	ملازم اول (نجمتان)
SOUS – LIEUTENANT	SECOND LIEUTENANT	SECOND LIEUTENANT	ملازم (نجمة)
ADJUDANT CHEF	SERGEANT MAJOR Of the army	SUBEDAR MAJOR	رئيس رقباء
ADJUDANT	SERGEANT MAJOR	SUBEDER	رقيب اول
SERGENT – CHEF	MASTER SERGEANT	NAIB / SUBEDAR	رقيب
SERGENT	SERGEANT	HAVILDAR	وكيل رقيب
CAPORAL – CHEF	CORPORAL	NAIK	عريف
CAPORAL	PRIVATE FIRST CLASS	LANCE NAIK	جندي اول
SOLDAT	PRIVATE	SEPOY	جندي

obeikandl.com

وفي عام ١٣٩٩، خُلِعَ الملك ريتشارد الثاني من قبل دوق لانكاستر هنري. وثيقة خلعه وكلامه عن التنازل هي بالإنجليزية. استدعي البرلمان إلى القاعة الكبرى في ويستمنستر. الدوقات واللوردات، الدينيّون اجتمعوا كلهم، وكان العرش الملكي مكسوا بثياب الذهب فارغا. تقدم هنري إلى الأمام، وتوّج نفسه وادعى التاج (الملك هنري الرابع). في لحظة رمزية كبيرة لم يُلق خطابه باللاتينية لغة أعمال الدولة، ولا بالفرنسية لغة القصر الملكي، ولكن حسب التاريخ الرسمي ألقاه بقوة بالإنجليزية اللسان الأمّ (باسم الأب والابن وروح القدس. انا، هنري من لانكاستر، أطالب بعالم إنجلترا وادعي التاج مع ممتلكاته ومستحقاته – لأنني شرعيا انحدر من دم اللورد الجيد الملك هنري الثالث – وبهذا الحق الذي وهبتني اياه عناية الرب، وبمساعدة كل من أسرتي وأصحابي ارجعه – فمملكة كانت في خطر التدمير من قبل الحكومة وتعطّل القوانين الصالحة) هنري، دوق لانكاستر أصبح الملك الرابع. وكانت الإنجليزية مرة أخرى لغة ملوكية. لقد كانت لمسات سريعة الانتقال عدة مرات، ولم تفقد اللاتينية و فرنسية سيطرتهما كلغتيّ الأعمال الرسمية والكنيسة، لكن الإنجليزية أبدت اشجع كسب علنيّ لثلاثة قرون وتربعت مرة أخرى على العرش. وأخيراً بدا التيار يتحوّل في صالحها، بالرغم من كل الدماء التي أريقت قبل أن تكتسب موقعها لتكون لغة في كل المناحي ذات العلاقة بالحياة الإنجليزية.

التأثير اللاتيني: العنصر الأجنبي الكبير الآخر في اللغة الإنجليزية هو اللاتين. فقد أثرت اللغة اللاتينة في الإنجليزية في مرّات أربع:

- بعد الاحتلال الروماني.
- وفي أثناء تنصير بريطانيا.
- وفي أثناء الغزو النورماندي.
- وربّما من إنجيل وايكليف الإنجليزي (الذي كان مُترجماً من اللاتينية).

كان أهم تأثير فاعل في حضارة أوروبا الغربية التأثير الروماني. فقد جاءت من اللاتينية الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية ولغات الرومانس الأخرى، مع إسهامات طفيفة من المصادر الأخرى، وأخذت الأجناس الجرمانية (كتيوتونية) من اللاتينية فقط. الكلمات التي قد تكون مفيدة طبيعياً عند التقاء العرقين. وكانت أوائل الكلمات (عدا العنصر لديني) في معظم الأحيان كلمات قصيرة ذات خصيصة ماديّة بحتة، وصفيّة لتحسين مستوى الحياة نظراً لأفضلية الرومان في الفنون المفيدة. وجاءت أسماء الفاكهة (عدا التفاح وثمر العلّيق المحلي) إما مباشرة من اللاتينية أو على نحو غير مباشر عبْر الفرنسية، والشيء نفسه ينطبق على الخضراوات أيضاً التي منها البقل المنزلي فقط هو من أصل إنجليزي. ومن اللاتينية جاءت أيضاً كلمات: الخميرة، الطبّاخ، الصحن، الزبدة، والجبنة، وأفضلية الرومان في البناء انعكست في كلمات مثل: آجرّ، والجدار. وفي مجال التجارة والإدارة أعطت: الميل، الثمن، سلك النقد، الرطل (باون وزن بريطاني).

وكانت كلمات الكنيسة المُبكّرة هي غالباً إغريقيّة – لاتينية، وبعضها مثل: الملائكة، شيطان، كتدرائية (كنيسة كبيرة)، كنيسة، كانت معروفة للأنجلوساكسون قبل أن تصل بريطانيا؛ لأنهم وإن كانوا لا يتعبدون في الكنائس النصرانية – كانوا في معظم الأحيان يسلبوها ويحرقوها – لكن العدد الأكبر من كلمات الكنيسة جاءت مع القديس أغسطين وخلفائه. واقتبس الأنجلوساكسون ألقاب الكنيسة الرئيسة مثل: أسقف (مُطران) رئيس دير الرهبان، راهب أو ناسك... إلخ. لكنهم في معظم الأحيان ترجموا كلمات الكنيسة الأخرى. الإنجيل الإغريقي – اللاتينيّ، الأنباء الجيدة، أصبح god - spel أي مدد الرب (الآن كوزبيل)؛ لكن في إنجيل وايكليف معظم هذه المفردات استُعيضت بكلمات لاتينية الأصل، مثلاً: التثليث بدل الثالوث الأنجلوساكسوني، والبعث بدل الروحانيّ.

كانت اللاتينية حقيقة في العصور الأنجلوساكسونية والوسطى مادة التعليم الوحيدة في المدارس، والأدب الجدي، من زمن السيد المحترم بيد (٦٧٥-٧٣٥) نزولاً إلى فرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦) كانت تكتب عموماً باللغة اللاتينية.

الهيبة الكبيرة للأدب الفرنسي في أثناء العصور الوسطى ومجموعة مفردات ذات الأصل اللاتيني وترجمة وايكليف للإنجيل، المعولة من النصوص اللاتينية، جلبت تعزيزاً آخر. وكانت النتائج أن الإنجليزية مُنفردة بين اللغات الجرمانية (التيوتونية) مشبّعة باللاتيني، وإجماع المفردات الإنجليزية يُظهر أن العنصر اللاتيني هو الأكبر من الجميع.

نما التأثير اللاتينيّ جداً في القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ لكن الآراء تختلف حول هذا الاستيراد الكبير للاتينية في الإنجليزية. كتّاب العلم من (ت. هـ. هوكسلي) حتى (هـ. ج. ويلز) كانوا عدائيين للدراسات التقليدية. الأخير (هـ. ج. ويلز) انتقد نحو اللاتينيّة المُملّ؛ لكن في كتابه (فينكس أو العنقاء) وهو طائر خرافي زعم قدماء المصريين أنه يعمر ٥-٦ قرون وبعد أن يحرق نفسه ينبعثُ من رماده وهو أتمّ ما يكون شباباً وجمالاً استعمل (هـ. ج. ويلز) بنفسه تعبيرات لاتينية مثل: الإنسان الباقي (على ما هو الآن)، استنتاجي (من العام إلى الخاص)، تعويض (المقابل)، استرجالٌ لأسباب خاصة، شيء لا بُدّ منه (ضروري)؛ هذه الكلمات المذكّرة بعلماء الدين وفلاسفة العصور الوسطى، حيث كانت اللاتينيّة نوعاً من لسانهم الوطني.

القليل من الناس يدرك العدد الهائل للعبارات والكلمات اللاتينية التي تستعملها في شكل غير محوّر مثل الأسماء: عبقريّ، مؤشر، شؤم، محكمة؛ أو كعبارات كثير منها في اللاتيني القديم مثل: على ظاهره أصلي غير مزيف، بعد الوفاة، أو كأسماء عُملت من الظروف مثل: البيّنة، مدة بينية، مادّة، ترادف؛ ومن تشكيلات الفعل: تذكرة، مُذكّرة، أمر، النُّصاب الظرف (سابق) زوّدنا بصفة، نحن بالكاد ندرك استعمال الكلمات اللاتينية عندما نقول: الأصغر (الحدث) والأكبر (البالغ)، الأقصى (الحد الأعلى) والأدنى (الحد الأسفل)؛ غالباً الناس ينغمسون بحبهم للمختصرات كما في: (دليل مُلحق، حاطّ من قدر المرء، مؤقتاً، بلا مُعارضة) أو الانغماس بحذف كلمة (يمكن تقديرها) كما في الوضع الراهن (من قبل).

نتيجة واحدة من التبنّي بالجملة للكلمات اللاتينية هو أن الصفة التابعة للاسم تكون غالباً بعيدة عن في أصل الكلمة. لذا فالذي يُقابل الأسماء: فم، أنف، عين، نحصل على أوصاف: ثغري، مُنخري، بصري. الثور يصبح بقريّ، الكلب هو نابيّ، القط هو سنّوري، بينما في اللغة الشقيقة مثل الألمانية تكون الصفة مكوّنة من الاسم نفسه. وبعدّ بعضهم هذا عيباً في اللغة الإنجليزية.

نتيجة أخرى للغة هو أن عدة كلمات تتشكل طبقاً لاشتقاقاتها، الـ (بارفيت) من الفرنسية القديمة أصبحت (بيرفيكت) أي كامل، مع تغير في اللفظ، لكن (فيكتوال) للفرنسية (فيتل) أي مؤونة الطعام تلفظ بالصوت نفسه (فيتل) على لسان أسلافها، هناك أيضاً أزواج كلمات، غالباً بمعانٍ مختلفة مثل: ضعيفٌ، سَمٌّ، ولاء، حقير من الفرنسية القديمة التي تقابل: (رقيق، دواء، فضيلة، أسير) من اللاتينية.

بالرغم من حقيقة أن اللغة الإنجليزية الآن هي كاملة الالتحام بين الإنجليزية القديمة (أنجلوساكسونية وترويجية قديمة)، والفرنسية مع اللاتينيّة، لكنها ما زالت بمفرداتها الأساسية، وتركيبها النحوي. وبما نسمّيه آلياتها، لساناً جرمانياً تيوتونياً. لكثير من الأفكار نحن نملك الآن ٣ كلمات: الوطنيّة، الفرنسية واللاتينيّة مثلاً ملكي regal, royal, kingly، كلٌّ بلياقتها الخاصة، لكن عموماً نجد الكلمة الوطنية هي الأغنى عاطفة والأجمل محتوىً.

العنصر الإغريقي في اللغة الإنجليزية[1]:

تُعدُّ الكلمات المُبكّرة من هذا المصدر غير مهمة حتى زمن قريب، مثل: حواريّ، والأسقف. وقد وصلتنا في شكل لاتيني من طريق المبشرين الرومان، عرف قليلٌ من الرجال الإغريقية في العصور الوسطى. لكن بعض الكلمات الأساسية مثل: الحساب، الفلك، رياضيات، كوميدي (هزلي)، تراجيدي (مأساوي)، فيزيائي (طبيعي)، قد وُثّقت. وهذه جاءت اعتيادياً من طريق الفرنسية القديمة مع تهجية صوتية مثلاً: (فيسين) الآن أُعيدت إلى (فيزيشن) أي طبيب، كذلك (فانتايسي) الفرنسية أعطت (فانتزي) أي خيال، التي أختُزلت عاجلاً إلى (فانسي) أي هوى أو نزوة، ثم صاحبت نمطاً تعليمياً (فانتزي).

عند النهضة، بدأ تبنّي الكلمات الإغريقية بحرية، في معظم الأحيان على نحو غير مُحوّر مثلاً: التحليل، التركيب، ذروة الإثارة، النظرية، انتقام، شفقة، كلّها وُثّقت في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

مركبات المقاطع مثل: (ميتا) أي ما بعد ووراء، (بارا) أي بمحاذاة وبجانب، (هايبر) أي بافراط، (هايبو) أي اقل من السوي تسري بالمثنات والشيء نفسه ينطبق على كلمات تبدأ بـ (أوتو) أي ذاتي، (هيتيرو) أي مُتغاير، (هايدرو) أي مائي، (هينول) أي حامض الكربوليك، أو تنتهي بـ (أولوجي) أي علم، و(ازم) نظام أو حالة. هذه المفردات هي جبرية أكثر منها لغوية، لكنها ذات قيمة كبيرة في التداول العالمي الإغريقية يناسب اللغة العملية بغرابة بسبب غناه بمقاطع اللصق وتكيّفها لتشكيلات جديدة. مثلاً: (افتراض) هي الترجمة اللاتينية الدقيقة للإغريقية (نظرية)، لكن ما من أحد يجادل أنه للأغراض العلمية (نظرية) هي الكلمة الأفضل.

العنصر العربي في اللغة الإنجليزية:

التأثير العربي عميق الجذور في اللغة الإنجليزية، لكن لسوء الحظ إمّا يُهمّش بقصد أو يُتجاهل بلا قصد. لتفاصيل انظر الفصل الثالث من (مقدمة الفردوس) إضافةً إلى النظر إلى (معجم الفردوس) بكليّته: مصادر الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية تشمل:

- لتفاعل العربي مع الاسكندنافيين الفايكنج ذو جذور عميقة في التاريخ[2]. فالرحّالة العربي أحمد بن فضلان، كان مؤرخاً إخباريا وقد كتب وثائق السفارة إلى ملك البُلغار لأواسط الفولغا في عام ٩١٢م. وقد وصف كيف يتصرف الفايكنج وماذا يشبهون عند المتاجرة في عاصمة البُلغار. هذه السفارة قدّمت مصدراً لا نظير له لكل الدراسات الأكاديمية عن الفايكنج: وتُظهر مشهداً كُليّاً جيداً عن كيفية الحياة ومعيشة الفايكنج وتفاصيل المواصفات الشخصية للاسكندنافيين، متاجراتهم، وثقافتهم، ومراسيم وفيّاتهم (رحلة ابن فضلان صورت في فيلم شهير اسمه: «المحارب الثالث عشر»).

ثم إن الكثير من المؤلفين العرب مثل: ابن خرداذبة (توفي ٩١٢) وابن رسته (توفي بعد عام ٩٢٣) وصفوا التجار الترويجيين و لاسكندنافيين في روسية. وبالعكس، الكثير من الفايكنج مثل: (اورم) و(انجفار) قد زاروا بغداد (عاصمة الخلافة الإسلامية) نحو ١٠٢٠م. لعل التجارة الكبيرة للفرو الاسكندنافي وحديد الصّبّ قد استوردتها الأقطار الإسلامية من الشمال، كما أن عالم الآثار لا يجد صعوبةً في تمييز الأشياء الغربية الموجودة في مقابر الفايكنج مثل: عُملة نقد من بغداد مثلاً.

وحقيقةً فإن الفايكنج استعملوا عُملات النقد من أوروبا الغربيّة والعالم العربي كما هو موضّح في الجدول الآتي، الذي يوثّق للعدد التقريبي للعُملة ما بين ٨٠٠–١١٠٠ الموجودة في اسكندنافية. هذا الجدول يحذف العُملة التي سُكّت في اسكندنافية في أواخر زمن الفايكنج، التي منها عدد كبير بقي (مثلاً ٦٦٠٠ في الدنمارك):

	العملات العربية	العملات الأنجلوساكسونية	العملات الفرنسية والألمانية
ترويج	٤٠٠	٢.٦٠٠ وأكثر	٢.٥٠٠ وأكثر
سويد	٥٢.٠٠٠	٣٠.٠٠٠	٥٨.٥٠٠
دنمارك	٣.٥٠٠	٥.٣٠٠	٩.٠٠٠

وعموماً تُعدُّ العملات الإسلامية (دراهم الفضة) هي أول ما ظهر من العناصر (ظهرت أولاً في الشمال نحو نهاية القرن التاسع)، وفي ٩٧٠ م يبدو أنه كانت هناك أزمة، رُبّما بسبب ما حدث في منتصف القرن العاشر لمناجم الفضة في جبال (هارز) حيث إن العملات الغربية وعُملات الجزء الغربي للخلافة الإسلامية بدأت تسود في مُدّخرات المخازن الاسكندنافية.

هذا الحجم الهائل للتجارة المتبادلة بين الفايكنج والعرب، مع الصلات المستفيضة مع الحضارة الإسلامية لابد من انعكاسه لغوياً في التأثير العربي في اللغة النرويجيّة والاسكندنافية (وهم أصل مهم من أصول اللغة الإنجليزية القديمة).

- استعارت الإنجليزية من العربية على نحو غير مباشر عبْر التفاعل مع البرتغال وإسبانية، أي شبه الجزيرة الأيبيريّة، حيث فتح المسلمون والعرب الأندلس واستقروا فيها وانتعشت حضارتهم قرابة ٨ قرون من ٧١١ وحتى ١٤٩٢ ميلادي، عندما طُردوا بالاسترجاع الإسباني (انظر الفصل الثالث).
- دخلت الكلمات العربية الإنجليزية عبْر الوسط الفرنسي النورماندي. الفرنسيون النورمان احتلوا إنجلترا واحتلوا صقلية العربية وفي الحروب الصليبيّة: احتلوا الساحل المتوسط العربي كذلك. والكلمات العربية دخلت إلى اللاتينية ثم الفرنسية، ثم عبر الوسط الفرنسي دخلت الإنجليزية. لذا فالفرنسيون النورمان كانوا وسيطاً لعبور الكلمات العربيّة مرتين.
- استعارت الإنجليزية من العربية مباشرة في أثناء الاحتلال الطويل للجيوش الإنجليزية لساحل المتوسط العربي في الحروب الصليبيّة. ومراسلات الملك ريتشارد قلب الأسد مع السلطان صلاح الدين تمثّل نموذجة للاتصال والتأثير العربي في اللغة الإنجليزية (انظر الفصل الثالث).
- الترجمة المعاكسة من الكتب المرجعية العربية إلى اللاتينية في أثناء مرحلة النهضة: إن هذه المراجع العربية المترجمة إلى اللاتينية، أثبتت أنها مصدر مهم للنهضة الأوروبية، نسخ الترجمة اللاتينية للكلمات العربية في العلم والطب استعارت إمّا الشكل العربي نفسه (مثلاً قانون من العربية قانون) أو لفظة لاتينية تتبنّى كلمة مستعارة مع ترجمة حرفية للتعبير الأجنبي (العربي) (فمثلاً كلمة (بيا – ماتر) أي الأم الملاصقة للدماغ هي من العربية الأمّ الحنون).
- أُستعيرت الكلمات العربية في الإنجليزية في أثناء الكشوف الجغرافية والتواصل التجاري مباشرةً أو على نحو غير مباشر عبْر اللغات الإسبانية والفرنسية والإيطالية.
- دخلت الكلمات العربية الإنجليزية مباشرة في أثناء الاستعمار البريطاني للشرق الأوسط ولا سيّما مصر.

وإضافةً إلى مصر فإن الكلمات العربية دخلت الإنجليزية على نحو غير مباشر عبْر استعمار الهند (من العربية إلى الهندية ومن ثمّ إلى الإنجليزية). لذا فالمستعمرات البريطانية جهّزت وسَطاً لعبور الكلمات العربية مرتين.

لأمثلة الكلمات العربية في الانجليزية راجع الفصل الثالث من (مقدمة الفردوس) ولا سيّما (معجم الفردوس) عموماً.

- والأهم من ذلك، فإنّ اللغة السومرية – الفينيقية (ذات العلاقة الوثيقة باللغة العربية)، لها تأثير هائل على بريطانيا قبل العصر الروماني، وعلى أوروبا ما قبل التاريخ. وقد أسهم الدكتور (ل. أوستن وادیل) في بحث رائد متميّز ومدوّن في كتابه المرجعيّ وعنوانه: "الأصل الفينيقي للبريطانيين والاسكتلنديين والأنجلوساكسونيين حسب النقوش الفينيقية والسومرية المكتشفة في بريطانيا، وحسب النقود البريطانية قبل عصر الرومان، مع الكثير من تاريخ جديد الاكتشاف" (طبعة وليمس ونورجيت، ١٩٢٤، الطبعة الثانية، ١٩٢٥ – الناشر كيسنجر لإعادة طبع الكتب النادرة www.kessinger.net) وكشف فيه عن لوحة تظهر: نقوش فينيقية على حجر نيوتن لـ «بارت – ولون، ملك الاسكتلنديين نحو ٤٠٠ سنة قبل الميلاد» مُسمياً نفسه «البريطاني»، «الحثيّ»، و«الفينيقيّ». ثم يستطرد الدكتور "وادیل" قائلاً في المقدمة صفحة ٧:

(ذلك الأصل المفقود منذ زمن طويل مع التاريخ المبكر لأسلافنا، البريطانيين والاسكتلنديين والأنجلوساكسونيين «ما قبل التاريخ» و«العصور قبل العصر الروماني»، ورجوعاً للوراء لنحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، قد استعدناه الآن، ولحد كبير كما هو مُدّوَنٌ في هذا الكتاب، مستعيناً بالأدلة التاريخية المكتشفة حديثاً).

ثم قام الدكتور ل. اوستن وادیل بكتابة كتاب بعنوان: "المعجم السومري – الآريّ – قاموس أصل الانجليزية واللغات الآرية الأخرى القديمة والحديثة مع الأصل السومريّ للغة المصرية وكتابتها الهيروغليفية" مزوداً باللوحات (طبعة لوزاك وشركاه، لندن ١٩٢٧– الناشر كيسنجر لإعادة طبع الكتب النادرة www.kessinger.net) ويقول فيه في المقدمة صفحة ix-x:

(لقد قادتني الحقائق لأدرك أنّ السومريين هم الآريون الأوائل... وأنّ «أسرة اللغات الآرية كلها مع حروفها المكتوبة مُشتقة من اللغة الفينيقية وكتابتها، ومن لغتها السومرية الأمّ، وأنّ نحو خمسين بالمئة من الكلمات الشائعة الاستعمال في اللغة الانجليزية اليوم قد أكتشف أنها سومرية الأصل بتركيب الكلمة نفسه، والصوت نفسه، والمعنى").

وكتب الدكتور ل. أوستن وادیل أيضاً كتاباً بعنوان: "الأصل الآريّ للألف باء: الكشف عن الأبوة السومرية – الفينيقية لحروفنا القديمة والحديثة" مزوداً بلوحات ورسوم إيضاح (طبعة لوزاك وشركاه، لندن ١٩٢٧– الناشر كيسنجر لإعادة طبع الكتب النادرة www.kessinger.net) يقول في الصفحة الثالثة منه:

(إنّ «الفينيقيّة الكادميّة» هي الأصل المباشر لحروف ألف – باء الإنجليزية والأوروبية الحديثة. والكلمة «الكادمية» قد أُضيفت لها من قبل قدماء الإغريق نسبة للذي ادخلها: كادموس، الملك الفينيقيّ من صور).

لكن فيما إذا كانت السومرية – الفينيقية هي لغة آرية (كما ظنّ الدكتور وادیل) أو ساميّة أو حاميّة (كما اعتقد الآخرون) هي قضية تخمينية. وفي الواقع فإنّ الدكتور وادیل نفسه قد قال في صفحة الاستشهاد الأخيرة نفسها: (إنّ أقدم ما عرف من شواهد (اللغة الفينيقية) المعكوسة أو الساميّة (أو بالأحرى الحامية حسب تسمية المصطلحات العبرية). ربما قرب اللغة السومرية – الفينيقية وعلاقتها الوثيقة باللغة العربية هو الذي حدا ببعض الغربيين المتحيّزين ذوي الرؤية الضيقة بمركزية أوروبا للعالم في الامتناع عن نسبة لغتهم للغة العربية الأسيوية الساميّة الأصل (نسبة إلى سام أو حام، ابن نوح). ولكن هؤلاء الأوروبيين سيجدوا بعض السلوى في الفصل الأول لهذا الكتاب، الذي أوضح أنّ اللغة العربية هي حقيقة لغة آدم على الأرض ومنذ البداية، بل وبزمن طويل قبل مجيء نوح وأولاده: أي أنّ العربية كانت اللسان الأمّ لأول قرية عالمية.

الحب الإنجليزي للمختصرات والكلمات المركبة[1]

التلفظ الرخو يجعل الرجل الانجليزي يتكلم بحرية حتى لو كان «البايب» (الغليون أنبوبة التدخين) في فمه، بينما الأجنبي ينبغي له أن يزيل أولاً كل ما يسدّ مجهوداته الصوتية. في كلمة مثل (باردونابل) أي قابل للصفح، يُلفظ المقطع الأول فقط بوضوح، وباقي الكلمة يتلاشى بهمهمة غامضة؛ لذا فاختزال الكلمات الطويلة شائع، مثلاً (يعمل ما يساوي نصف بيتي) تصبح (هابورث) و(يكون الرب معك) إلى (جودباي) أو قطع المقاطع غير المؤكدة مثلاً (ديسبورت) القديمة تصبح (سبورت) أي رياضة، أو (إرايمنت) القديمة إلى (رايمنت) أي ثياب، كذلك الاستعمال المتقصّد أول أو آخر الكلمة فقط هو شائع، مثلاً (فان) أي عربة لكل من الكلمتين (فان جارد) و(كاراڤان): (مايك) الحديثة لمكبّر الصوت (ميكروفون) و(توت) لكلمة (ثوتاليزر) أي آلة حاسبة، وعندما لا تُختزل كلمة طويلة بسهولة فالإنجليزية تستعيض عنها بكلمة قصيرة، مثلاً معظم الناس يسمون التليغرام (واير) وكلمة (هانش) تعوّض عن كلمة ارتفاع ناتئ أو موهبة. والإنجليز يتركون الجُمل غير منتهية شعرين أن ذلك كافٍ للمستمع الذكي، مثلاً: للمدة، ذاك يعتمد، ليس أرضيّاً، حسناً لا، أنا أبداً، أو يخلّف بنيّه.

أما فيما يخص الكلمات المركّبة فهي كلماتٌ مختصرةٌ من أوائل حروف الكلمات لجملة طويلة مثلاً:

LORAN هي معونة المدى الطويل للملاحة، أو

LASER (ليزر) هي تكبير الضوء بالانبعاث المحفّز للإشعاع، أو

RADAR (رادار) هي كشف مدى الراديو (المذياع).

أكثر الأسماء الإنجليزية يُمكن أن تستعمل صفات، كما في الساعة الذهب، جدار الصخر، رياضات الحقل، أرض الاستجمام. غالباً تتفرد الإنجليزية بمركبات نعتيّة مثلاً: رجل مادة الحقيقة، فكرة حديثة الزمن، رفق لا يمكن أن يُنسى.

صناعة الكلمات وصُنّاعها:

عندما بدأ وليم كاكستون بالطباعة في إنجلترا عام ١٤٧٦م، كان عليه أن يتعامل مع لغة مُركبّة من ثلاثة عناصر، وطنيّة، وفرنسيّة، ولاتينية. وكانت لهجة (شرق ميدلاند) التي ينطقها سُكان كامبردج ولندن ولحدّ ما أكسفورد هي بالإنجليزية القياسيّة. واستمر التعليم مبنياً بالكليّة تقريباً على اللاتينيّة وكان انتشار الكتب بالإنجليزية بطيئاً ونادراً. وما زال الباحثون يستعملون اللاتينية أداة نقل مناسبة للأدب، عمل يوتوبيا (أي طُوبى) للسيّد (توماس مور) طُبع باللاتينية عام ١٥١٦م، ولم يُوضع بالإنجليزية حتى ١٥٥١م. وفي ١٦٢٠م، أي بعد أربع سنوات من موت (شكسبير)، كانت ثقة (بيكون) باللغة الإنجليزية واهية لدرجة أنه كتب (نوفوم ورجانوم) أي العضوية الجديدة – باللاتينية والسيد (إسحاق نيوتن) الشهير تبعَ أثره في نهاية القرن. الاستثناء كان في توزيع الإنجيل بالإنجليزية.

هنالك بالتأكيد كمٌّ مُعيّنٌ من صناعة الكلمات في العصور الوسطى، لكنه يبقى مجهولاً، بينما ابتداءً من مرحلة النهضة والإصلاح نستطيع مراقبة صُنّاع الكلمات في عملهم، كإنجيل (كوفيرديل) و(تينديل)؛ ومن بعد ذلك.

(كوفيرديل) أعطانا مركبّات تعبيرية مثل: سفك الدماء، رقيق القلب، شفقة الحب، رحمةٌ حنون. (تينديل) أعطانا: مُعاناة طويلة، كسير القلب، حجر عثرة، ربح فاحش، عرش الرحمن، حتى الكلمات الضرورية مثل: وسيم، بينما كبش الفداء، بالرغم من أنه خطأ في الترجمة، لكنه الآن لا يُستغنى عنه.

المسهم الكبير الآخر بمفردات الإنجليزية وتعابيرها هو (شكسبير)، وتأثيره في الإنجليزية كبير. بين الإنجيل الإنجليزي وشكسبير جاء (سبنسر) شاعر الشعراء. لغته هي خليط موسيقا صناعي وكان مُعجباً ومُتحمّساً لـ(تشوسر) (بشر الإنجليزية غيرُ المشوهة). لكنه كان متأثراً أيضاً بالشعراء الإيطاليين والفرنسيين الشهيرين للنهضة. وقد شكّل مُفردات تزيينيّة صوريّة التي يتطلع شعراء المرحلة الرومانسيّة لها. وقد اخترع الكلمات: (سمح وضح)، (مبتهج)، واحتمال (جني صغير) أيضاً: وكان أوّل من قلّد الإغريق بتسمية الفجر الأصابع المشرقة الوردية (يشبه قول العربية: خيوط الفجر البيضاء).

الصياغات الحديثة الأخرى هي اللاأدرية (عن وجود الله وطبيعته وأصل الكون) لـ (هُكسلي)، تحسين النسل لـ (كالتن) والرجل الخارق (سوبرمان) لـ (شو)، واضطرت الاختراعات العلمية والاكتشافات إلى تصنيع كلمات من المواد الإغريقية. فكلماتٌ مثل: فوتوغراف، ديناميت، سيتيماتوغراف، نيوليثيك... إلخ تشرح نفسها مباشرة لأي إنسان له معرفة سطحية بالإغريق.

ومع ذلك، كان على إنجلترا الانتظار حتى فجر القرن السابع عشر، ١٦٠٤م لتحصل على معجمها. هذا يُمثل المؤشر الأول لتحدي باقي أوروبا لأنه كان أسبق بثماني سنوات قبل أول معجم إيطالي، وبـ ٣٥ سنة قبل أول معجم فرنسي. لكن لوضعه في الصورة الكبرى العالمية تأخر كثيرا فقد تأخر المعجم الإنجليزي بـ ٨٠٠ سنة عن المعجم العربي و١٠٠٠ سنة بعد أول معجم سنسكريتي في الهند، وكلمة (معجم) كلمة لاتينية هي: (ديكشنيريوس) استخدمت أول مرة نحو ١٢٢٥م. والمعجم يناسب اللغة الإنجليزية خاصة التي امتصت العديد من كلمات غيرها.

أول معجم إنجليزي وضعه (روبرت كاودري) عام ١٦٠٤م، وسمّاه (الجدول الألف باتي) والنسخة الوحيدة الباقية هي في مكتبة (بودليان) بأكسفورد. وكان صغيراً هزيل الحجم يقارب حجم راحة اليد المتوسطة. وهو قائمة بالكلمات الإنجليزية التي هي غالباً لا كلياً من أصل لاتيني مع شرح وجيز لمعنى كل منها. وأول كلمة في هذا المعجم الأول في (أوروبا) هي (أباندون) أي يتخلى عن، يستسلم لـ، يترك، يتخلى. (مالادي) أي مرض، (سومرلي) أي باختصار أو بكلمات قليلة (أركو) أي يجادل، و(جيومتيري) هو فن قياس الأرض. (اليكانس) هو فن الكلام، و(إيمبايير) هي الحكومة أو الملكة. (كوادرنكل) هو أربع زوايا، و(راديانت) هو مُشرق أو برّاق. وكان هناك ٢٥٤٣ كلمة فقط في هذا المعجم. كان تخزين كلمات هزيلة لكنه المحاولة الأولى للتجميع. وأكثر من ذلك، كان هذا الكتاب الصغير إدراكاً للموقع الجديد للغة الإنجليزية. (كاودري) أراد بمعجمه أن يستعمله من لا يفهم الكلمات (التي يسمعها أو يقرؤها في الكتب المقدّسة والمراسيم أو غيرها). لم يكن هذا الكتاب للباحثين.

١. الإصلاح البروتستانتي وقصة الإنجيل الإنجليزي[٣]

إن استعاضة اللاتينية بالإنجليزية اقتضى كفاحاً جبّاراً لانتزاع السلطان من القساوسة. هذا وقت الشهادة وعلو الخطر، والمخاطرة، والبحث التعليمي، وفوق ذلك كله الإيمان الشامل والكريم أن كلمة الرب يجب أن تكون بلغة الناس. والمعركة ستمزق الكنيسة أخيراً إلى اثنين، النتيجة غير المتصوّرة عندما تبدأ القعقعة الأولى في النصف الثاني للقرن الرابع عشر. وتودي بأرواح كثيرة. لكنّ الكثير كان مُستعدّاً للموت دونها، لجعل الإنجليزية لغة عقيدتهم. لذا فإن دور الإنجليزية أعطي دفعةً بالإصلاح البروتستاني: الذي وضع واجباً دينيّاً لمعرفة القراءة والكتابة على الجميع، وزوّد نصوصاً قوميّة بهذا الغرض: الإنجيل باللغة الدارجة وكتاب الصلاة[٥].

المُحرّك الأساسي في القرن الرابع عشر كان الباحث المؤيد للبروتستانتيّة: (جون وايكليف)، الذي وُلدَ قرب (ريشموند) في (يوركشاير)، أُدخل لكلية (ميرتون) في أكسفورد عندما كان يبلغ ١٧ سنة، وكان ذا جاذبية

وسلاسة باللاتينية، وكان فيلسوفاً وعالم دين كبيراً، وقد آمن بصدق أن معرفته يجب أن يشاركه فيها الجميع من داخل جدران أكسفورد المُقنّنة الدينيّة التقليدية والمعسولة. شنّ الباحث (وايكليف) هجوماً غاضباً على سلطة وثروة الكنيسة، هجوماً قبل شخوص (مارتن لوثر) بأكثر من ١٠٠ سنة، وكانت مناظرته هي تمييز كنيسة الرب المثالية الأبدية من تلك المادية في روما. باختصار، أكّد أن الشيء الذي ليس في الإنجيل ليس حقاً، ولم كان الإنجيل لا يقول شيئاً في موضوع منصب البابا، فإن هذا المنصب ليس شرعياً – وفي الحقيقة الإنجيل لا يقول شيئاً عن وجود البابا – كان هذا الكلام ثوريا وقطّع كُلّ جذور السلطة القائمة.

لا سيّما أنه وأتباعه مثل (جون بول) دعموا ذلك بطلب مُقاضاة الكنيسة، بسبب منع ثروتها عن الفقراء وطالبو بتوزيع ثروة الكنيسة على المحتاجين. الكنيسة لم تر خياراً سوى سحقه. وفيما يخص (وايكليف) فإنه ذهب أكثر من ذلك. فهو وأتباعه هاجموا مبدأ الاستحالة، وهو الاعتقاد الذي يقول به القساوسة، أن الخمر والخبز يتحول بمعجزة إلى دم وجسد المسيح، كما أنه هاجم رهبنة القساوسة (عزوفهم وامتناعهم عن الزواج) واعتقد أنه نظم سيطرة مؤسساتي على جيش القساوسة؛ وهاجم الاعتراف بالقوة، وهي طريقة القساوسة، بناء على رأي (وايكليف)، أنها لتصيّد المعارضين، ورصد أخطائهم في العقيدة. كما وحارب صكوك الغفران، التي يجلب شراؤها الخلاص من العقاب، ولكنه يجلب ثروةً للكنيسة كما قال، وهاجم حجّهم الذي هو نوع من الشرك؛ والتمثيليّات اللغزية الغامضة؛ لأنها ليست من كلام الربّ، وايكليف لم يأخذ أسرى (بل قتل جميع المبادئ).

كانت مناظرته الأساسية والثورية التي إذا قُبلت بأي شكل أو صورة سوف تُسقط الكنيسة كلياً، ليصبح الإنجيل هو السلطة الوحيدة للاعتقاد الديني والممارسة، وبأن الجميع لهم حق قراءة الكتاب المقدس وتفسيره. كان هذا سيغير العالم، والذين يحكمون يعلمون ذلك. فأصبح هو العدو الرئيس. لكن من السخرية أن مناظراته الرئيسة كان يجب أن تُكتب باللاتينية – اللغة العالمية للباحثين وعلماء الدين – على الرغم من أن المناسك كانت تُقام بالإنجليزية من قبله وأتباعه.

إنجيلٌ كامل بالإنجليزية غير مُصرّح به من قبل الكنيسة وذو هرطقة كامنة، بل تحريضي أيضاً، ويقتضي عقوبات همجيّة تشمل الموت بوصفه جرائم ضد الكنيسة الحقّة الواحدة؛ أي ترجمة كانت تعد عالية الخطر ويحب عملها في الخفاء، في كُليّات أكسفورد.

«الإنجيل عبر الإنجليزية» الآن استصرخ واستنجد بالناس. وهذا لا يُتسامح به. ففي ١٣٨٢/٥/١٧، في (بلاكفرايرز) بلندن، في موقع الآن يفخر به في بيت فيكتوري علني وأجرؤه المُزين يذكّر بأيام (وايكليف)، اجتمع مجلس الكنيسة لفحص أعمال (وايكليف). كان هناك (٨) قساوسة وعددٌ من رجال الدين ودكترة في القانون العام والمدني مع (١٥) راهباً. كانت محاكمة استعراضية. الاستنتاجات كانت مُقدّرة سلفاً، وفي اليوم الثاني للاجتماع كتبوا مسوّدة القرار المُدين لآراء (وايكليف) كهرطقة واضحة. اتباع (وايكليف) أُدينوا أيضاً. فالمجلس أمر بإيقاف (وايكليف) ومُقاضاة الدُعاة المتجولين في البلاد. والكثير من هؤلاء قبض عليهم وعُذّبوا وقُتلوا. وبما الأهمُّ من هذا كلّه كان ما يتعلق باللغة الإنجليزية: فقد تسبّب المجلس بمنع برلماني لجميع أناجيل اللغة الإنجليزية، وكانت لديهم السُلطات لتفعيل ذلك. وهُزم مجهود (وايكليف) الكبير في التطاول على سُلطة الكنيسة هزيمة منكرة. ومُنعت أناجيله قانونياً. إلا أن أبواب الكنيسة من الكاتدرائيات الكبيرة إلى كنائس المقاطعات الصغيرة، ما زالت مُحتكرة لاتينياً. في ٣٠ آيار أُرشدت كلّ أسقفيّة في البلاد لإعلان الحُكم. وأصبح (وايكليف) مريضاً، لقد كان مشلولاً بسكتة دماغية. وبعد سنتين توفي في آخر يوم من عام ١٣٨٤م.

بعد موت (وايكليف)، وبالرغم من إدانة وقساوة الكنيسة، فإن نُسخ إنجيل (وايكليف) استمرت بالطباعة

والتوزيع – حتى لو كانت حيازة أحد أعمال (وايكليف) جريمة يُعاقب عليها بالموت، وبجرأة مُدهشة فإن الكاثوليك الذين نشروا اللغة الإنجليزية كانوا مُستعدين لتحدّي البابا، والمراهنة بحياتهم وبأرواحهم الأبدية من أجل قراءة كلمة الربّ بالإنجليزية لغتهم الخاصة. لكن السلطة الكهنوتيّة لم تتحمل ذلك. وفي ١٤١٢ أي بعد ٢٨ سنة من موت (وايكليف)، أمرَ رئيس أساقفة (كانتربري) بحرق جميع أعمال (وايكليف)، وأدخل في رسالة إلى البابا قائمة لـ "٢٦٧" هرطقة (تستحق النار)، التي ادعى أنها انتُخبت من صفحات إنجيل (وايكليف). ويُقال إنه قال: (هذا العضو الخسيس والمُهلك، ابنُ الأفعى، نذير الشؤم، وابنُ المسيح الدجّال، جون (وايكليف)، طفح كيله بالخبث بسقوطه بذريعة الترجمة الحديثة للكتاب المقدس في اللغة الأمّ).

لأسباب مخلصة ساخرة، بقيت اللاتينية لغة الكتاب المقدس، وفوق ذلك كان يجب إبقاؤها غير منتهكة. (وايكليف) هدد صوت الكنيسة الكونية للربّ الواحد الذي لا ينقسم. هذا مثالٌ رهيب لقوة اللغة.

إلا أن الكنيسة لم تنته منه تماماً. فقد دعا الإمبراطور (سيجيسموند) ملك هنغاريا (المجر) مجلس الثيابات عام ١٤١٤م. وكان أهم مجلس مهيب دُعي بالكنيسة الكاثوليكية، وأُدين وايكليف بوصفه هرطقيا في ١٤١٥م، وفي ربيع ١٤٢٨ أُمرَ بنبش عظامه وإزالتها من أرض الدهن المقدسة. وبقي الإنجيل باللاتينية. وأما محاولة وايكليف الثانية فكانت درساً قاسياً ملعوناً لكل من تسوّل له نفسه أن يشنّ حملة غير مقدسة إلى جانب الإنجليزية. بقايا (وايكليف) حرقت على جسر صغير على نهر (سويفت) متفرع من نهر (آيفون).

إنجيل وليم تيندبل:

الاسمان الشهيران المرتبطان بالإنجيل الإنجليزي هما (وليم تيندبل) و(مايلز كوفرديل)، وكلّ منها عمل في المنفى في ألمانية. ترجم (تيندبل) من الإغريقية ومن النصوص العبرية، وترجم (كوفرديل) من اللاتينية ومن نسخة (لوثر) الألمانية. وبَرَعَ (تيندبل) بالدّقة والحماس، بينما كان (كوفرديل) أكثر رشاقةً وموسيقيةً. وتكاد النسخة المنقحة تعتمد كلياً على تيندبل، بينما ترجمة (كوفرديل) تدين الإنجيل الإنجليزي في كتاب الصلاة (الذي هو نسخة المزامير).

في باكورة عهد هنري الثامن، كان الملك الجديد لا يزال يَعدُ البابا أنه سيحرق أيَّ (ترجمة غير صحيحة). وكان يعني بذلك إنجيل (وايكليف)، الذي بالرغم من كل مجهودات المحكمة والكنيسة، ما زال يوزّع باستمرار في البلاد بنسخ يدوي.

وضع هنري الثامن مستشاره اللورد كاردنيال (وُلسي) القوي الفاعل لمصادرة كُتب الهرطقة. أدرك (وُلسي) أن مارتن لوثر قد هزّ الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة عام ١٥١٧ بمطالبه التي سَمّرَها (دقّها) على باب كنيسة (ويتنبرج)، كان (وُلسي) قلقاً كسيده (الملك هنري الثامن) لإرضاء البابا، فأقام بحثاً في كل البلاد عن أعمال الهرطقة. وفي عام ١٥٢١/٥/١٢، أضرمت نارٌ هائلة لحرق أعمال الهرطقة المُصادرة خارج كاتدرائية (سانت بول) الأصليّة. يُقال إن لهب النار استمر مدة يومين. وكان حرق الكتب الكبير إنذاراً لما قد يحدث لمن يُصرّ على تحدّي سلطة البابا.

كانت هذه هي السنة التي بدأ فيها (وليم تيندبل) دعوته العلنية على ساحة (القديس أُغسطين الخضراء) وخطّ الطريق المؤدي إلى تغيير جذري في اللغة الإنجليزية وفي المجتمع الإنجليزي على السواء.

ليس من السهل دوماً الإدراك الكُلّي أو حتى تصوّر ما يُراهن عليه. كانت معركة السلطة الكبيرة. كان تأثير الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة عبر الأقطار، والدول، والإمارات، والناس فريداً. وكانت الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة غنيّة، وكانت الحليف المرغوب في الحرب، وطالبت هي بالطاعة عبر احتكارها للعقيدة

الصحيحة الواحدة. وغطّى قساوسة مُقاطعاتها كلّ فدان من الأرض تقريباً. كانت تستمع إلى الاعترافات، وكان لها القدرة على غفران الذنوب، وإجبار الناس على الحضور إلى الكنيسة. وكان الناس يدفعون ضرائب للكنيسة، امتثالاً لأحكامها في المسائل العلنية والأخلاق الشخصية؛ حتى مُمارسة الجنس كان قضية كنسية. وسبب ذلك كله أن الكنيسة تملك الوصول الفريد للربّ أي للحياة الأبدية. وعبر الكنيسة الكاثوليكة الرومانية فقط يستطيع الإنسان الاتصال بالربّ وله الخيار في البعث.

تحدى كلٌّ من (وايكليف) و(لوثر) و(تيندیل) ذلك. لقد أرادوا لعوام الناس الاتصال المباشر مع الربّ، وكان جعل الإنجيل بلغة الناس الوسيلة لجعل ذلك قابلاً للحدوث. وكانت المعركة حول اللغة تمرداً واضحاً ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي نصبت نفسها بوّاباً للربّ، والادعاء أنها الممثل الوحيد للربّ على الأرض، وعلى النصارى الطاعة لقوانينه الأرضية بكل حذافيرها كقوانينه في الجنة. وهذا أثبت أنه لا يُطاق بالنسبة لجامع مختلفة عبر القرون، والآن انتفخ نهر المعارضة وامتدّ. وقاد التمرد رجالٌ ونساء متديّنون جداً. هم كذلك آمنوا بالولادة العذراء، وبقدسية المسيح، وفوق ذلك آمنوا بالبعث. كانت سنوات مُضيئة قبيل الإلحاد حتى اللاأدرية.

هم أرادوا إنقاذ أرواح الناس، ولكن ليس بالأوامر والمراسيم الصادرة من السلطة المركزية اللاتينية في روما، التي ليس لسُلطتها أي دليل في الإنجيل. وبالنسبة للمتمردين كانت نهاية الروح القضية العُظمى في الحياة؛ وكانت تستحق الموت من أجلها.

وبعد قرون كان هناك من يشعر بالشيء نفسه حول الحرية، لكن لم يكن هناك من هو أكثر منهم حماسة وحتى تطرفاً وأكثر اقتناعاً بهدفهم بوصفهم رجالاً مؤمنين تماماً كما كان (وليم تيندیل) مقتنعاً بهدفهم. بعد هذا كله، لم يعمل (تيندیل) أكثر من خدمة الربّ الصحيح الواحد، صانع كل شيء، الخالق، العظيم، واهبُ الحياة وآخذها، وحاكم كل الرجال والنساء. وليس في الحياة أعظم من خدمته.

وبالنسبة لـ (تيندیل) كانت الإنجليزية فعلاً الطريقة المثلى لاتصال الربّ بأهل هذه اللغة، والطريقة الأفضل لاتصالهم به. وكانت معركة الإنجيل الإنجليزي معركة الخلاص عبر الكتب المقدسة.

كان (تيندیل) مثل (وايكليف)، باحثاً تقليدياً في أكسفورد، وعارض مثل (وايكليف) كُليّاً الفكرة أنه القسيس المقدّر عليه أن يكون هادئاً وممتثلاً. وباحثاً عن المناصب أخذ (تيندیل) الخطورة وعاش حياةً تُدين بأحد أبطال القرن العشرين الثوريين، وواجه نهايةً أسوأ من أغلبهم. ومن الممتع أن بيتاً كبيراً في (كلوسترشاير)، كانوا فرحين بدعم خُطط (تيندیل) سرّاً، وهو بيت كان يحاضر فيه، وتملكه أسرة غنيّة من تجّار الصوف الجُدد، سمّتْ نفسها (الإخوان النصارى). وهو اسم أمينٌ سياسياً – وأعطت ميزة الدعم المبكّر في حياة (تيندیل) تشجيعاً إضافياً لما يحتاجه.

ولكن مثل (وايكليف)، ظهر أنه رجلٌ مدفوعٌ كُليّاً بفكره. ففي عام ١٥٢٤م، وكان في عمر الثلاثين، ترك (وليم تيندیل) إنجلترا ليواصل عمله خارج دولة الجواسيس القامعة والموضوعة من قبل عشري الثامن والكاردينال وُلسي، ولم يرجع، قابل (إيرازموس) ثم (لوثر)، الرجلين الأساسيين في الحركة التي سُميت فيما بعد بـ «البروتستانتيّة» واستقر في (كولون)، وبدأ وحده يترجم (العهد الجديد)، ليس من اللاتينية بل من الأصول الإغريقية والعبرية. وكان هذا يدل على عبقرية (تيندیل) اللغوية، التي جعلت ترجمته مُعبّرة وقوية في آن واحد.

وبعد سنتين، طُبعت ٦٠٠٠ نسخة في الخارج، وهذا دليلٌ على طبيعة المناصرة الكبيرة التي حصل عليها (تيندیل) من تُجّار الصوف في (كلوسترشاير)، وسرعة الطباعة وكفايتها. غُلّفت الأناجيل الجديدة وأُرسلت إلى الساحل جاهزةً للتهريب إلى إنجلترا. مرة أخرى جاءت الإنجيلية إلى إنجلترا من وراء البحر. لكن هذه المرّة

مكتوبة بالإنجليزية، وكان من أحسن ما صقل وكُتب على الورق، لكن جواسيس هنري الثامن وولسي أخبروهما بهذا الغزو. وفي هذه الأثناء بدت الحالة غير طبيعية، ووُضعت جميع البلاد في حالة إنذار من أجل منع كلمة الربّ بالإنجليزية، فحرست السفن الحربية مياه الساحل، وأوقفت القوارب وفُتشت، وأُوقف رجالٌ، وكثير من الأناجيل اعترض سبيلها. عُدّ العمل مشابهاً لحالة حرب، وكان ذلك بالفعل بالنسبة لهنري الثامن وولسي. فاللاتينية هي كلمة الربّ الوحيدة والمسموح بها في الدولة. وقد خرجت الدولة بقوتها المُسلّحة كلها للدفاع عن حليفها الأكثر إخلاصاً ألا وهو الكنيسة.

في البداية دخلت العشرات ثم المئات عبر الخطوط، فقد حاول رئيس دير لندن آنذاك حيلةً: أن يشتري جميع النسخ العابرة عبر وسيط.

(أوه هو سيحرقها) هكذا قال (تيندبل) افتراضاً عندما سمع بذلك، (أنا الأكثر فرحاً) هكذا استرسل قائلاً: (المتعتين من ذلك، سوف أحصل على المال منه على هذه الكتب لإخراجي من الديون، ثم إن العالم كله سيبكي على إحراق كلمة الربّ) وهذا ما حصل. فقد اشترى رئيس الدير الكتب وأحرقها، واستخدم (تيندبل) المال لإعادة العمل والتحضير لطبعة أفضل؛ لأنها على حساب الكنيسة.

ولم يمض وقت طويل على إنجلترا المتشوقة إلى إنجيل (تيندبل) فهذه المرّة هي على نار لقراءته. فآلاف النسخ قد هُرّبت. في تعبير (تيندبل) الخاص المُرح: (ضجّة الإنجيل الجديد له صدى في كل البلاد). طُبع الإنجيل في حجم الجيب الصغير، فكان إخفاؤه سهلاً. قضى (تيندبل) حياته في الهرب. فقد كان على الدوام مُطارداً من قبل الجواسيس الكاثوليك، وكان (تيندبل) يتحرك بسريّة بين أراضي شمال أوروبا المتعاطفة مع البروتستانت. وفي ١٥٣٠م، تُرجم (العهد القديم) وطُبع في (التويرب) في بلجيكا. وفي التويرب قابل (تيندبل) رجلين إنجليزيين كانا مغتالين مأجورين. فاصطادوه وأودعوه في قلعة (فيلفورد)، حيث سُجن في بُرجها المحصّن. لكنه استمر بكتابة عبارات بتأثر وقلب كسير مثل: (النبي ليس له فخر في بلده)، (غريبٌ في أرض غريبة)، و(دع قومي يذهبوا). وفي نيسان ١٥٣٦م وجدت محكمة في بلجيكا (تيندبل) مذنباً بالهرطقة. وكانت الطريقة التي اختاروها لقتله خنقاً لقطع صوته، وهكذا كان في ١٥٣٦/١٠/٦م. وأخيراً أحرقوا جسده على محرقة. يقال إن آخر كلماته: (ربّ، افتح عينيّ ملك إنجترا)!

قبيل إعدام (تيندبل) بسنتين أُعطي هنري الثامن لقب (المدافع عن العقيدة) من قبل البابا ليو العاشر لنبذه أفكار (لوثر)، ثم تركَ زوجته كاثرين وتزوج سرّاً عشيقته الحامل (آن بولين). فهدد البابا الجديد (كليمنت السابع) بفصله (وحرمانه من عضوية الكنيسة). وفي عام ١٥٣٥م قام (مايلز كوفرديل) باستعمال نصوص (تيندبل) قدر المستطاع - طبع الإنجيل كاملاً، مهدياً إياه إلى الملك، وكان هذا أول إنجيل قانوني بالإنجليزية. وكان ذلك قبل سنة من إعدام (تيندبل).

ودخل هنري في مباحثات مع بعض الأمراء اللوثريين في ألمانيا في عام ١٥٣٦م بحثاً عن حلفاء، وكان ذلك سنة إعدام (تيندبل)، ولكن لا توجد وثائق عنه، وهو يفكر في الرجل الذي ساعدت كلماته بصياغة إنجلترا البروتستانتية الجديدة. في عام ١٥٣٧م، ظهر إنجيل ماثيو (وهو خليط من إنجيل كوفرديل وإنجيل تيندبل) وسُمح له بالطباعة في إنجلترا.

وفي عام ١٥٣٩م أصبح لدينا الإنجيل الشهير بنسخته الرسمية. وفي هذه الأثناء ومع الانشقاق من روما، قهرت الإنجليزية آخر معقل وأعلاه: ألا وهو الكنيسة. وهكذا تدفقت اللغة الإنجليزية للدين. وكان من مبادئ البروتستانتية أن يتوافر الإنجيل للجميع.

ومع بداية القرن السابع عشر كانت هناك عدة نُسخ متنافسة للإنجيل، مما حدا بـ ٧٥٠ مُصلحاً من داخل كنيسة إنجلترا بحثّ الملك جيمس السادس ملك اسكوتلندة الذي أصبح الملك جيمس الأول لانجلترا ليُجيز ترجمة جديدة للإنجيل. وقد اختير لذلك (٥٤) مترجماً من الكنيسة والجامعات لإخراج الطبعة التي احتاجت ٥ سنوات. ويُقال إنّ كلمات (تيندبل) وتعابيره أثرت في ٦٠ إلى ٨٠٪ من إنجيل الملك جيمس. وكان ذلك في عام ١٦١١م، وفي تلك الحياة الثانية دارت كلمات (تيندبل) وتعبيراته حول العالم. فقد كان هذا الإنجيل الرسمي محاولة عظيمة جعلت إنجاز (تيندبل) يبدو كله عملاً إنسانياً استثنائياً.

٢. إسهام شكسبير في اللغة الإنجليزية[٣]

ولد شكسبير في (ستراتفورد — أبون — ايفون) عام ١٥٦٤م، وكان والده جون صانع قفافيز وجاءت أمه (ماري أردن) من أسرة مُزارعة. وكان شكسبير الأكبر بين ثلاثة أبناء وأربع بنات. وقد تعلّم محلياً حتى بلغ ١٥ أو ١٦ من عمره. لكن ماذا حدث له حتى حلّ في لندن نحو ١٥٩١م. لم يكن ذلك واضحاً سوى أنه في عام ١٥٨٢م تزوج (آن هاثواي) و(كان عمره ١٨ سنة)، وأصبح لديه ثلاثة أولاد.

هل عمل مع والده؟ هل كان والده كاثوليكياً سرّاً حيث كان ذلك خطراً جداً تحت حكم الملكة اليزابيث البروتستانتية، مع أن كل مخططات البابا ضدها؟ كل هذا غير واضح، حقاً هناك جوانب كثيرة من حياة شكسبير وأسرته غير معروفة. لكننا نعرف أن استاذه الرئيس في المدرسة الثانوية المحلية كان جزءاً من الدائرة الكاثوليكية التي ألفت ظلالها على (ستراتفورد). وفي بدايات عام ١٥٩٠ وصل شكسبير إلى لندن، وعمل كاتباً روائياً. كان شكسبير حلو اللسان. وأغلب الباحثين اليوم ينسبون إلى شكسبير ٣٨ تمثيلية و١٥٤ قصيدة غنائية مع قصائد أخرى كثيرة. وقد جلب لنا شخصيات مثل: (هولنشاف، كيت، بولونيوس، لاجو)؛ وشخوصاً من التاريخ، نذكرها أكثر من مثيلاتها التاريخية الحقيقية: (ريشارد الثالث، الملك لير)؛ مسرحيّات وحبكات روائية لا تزال تُنتج ولا تقلّ إثارة: (مكبث، عُطيل، هاملت). وتستطيع تقدير شكسبير بعدة طرق؛ وهنا نحن نركز على إسهامه في الإنجليزية نجد أن أكثر من ٢٠٠٠ كلمة من كلماتنا اليوم وُثّقت به أولاً، إمّا نُزعت من مكان ما أو اخترعت من قِبَله.

وبالرغم من أنه قد لا يكون من اخترعها، فكلماتٌ مثل: (فاحش، تكييف المبيت، سافر الوجه، قفة الضفدع (وثبة متجاوزاً رئيسك)، وبريق باهت)، أمثلة بسيطة للكلمات التي ظهرت أولاً في أعماله. وكلمات أخرى وجدت ظهورها الأول: (مغازلة، بحذاقة، يتعذر تمييزه (غامض)، متعمد، واتّكال).

وبعد ٤٠٠ سنة، كانت مفردات شكسبير لا تقل عن ٢١،٠٠٠ كلمة مختلفة: بعضهم قدّرها مع مركبات الكلمات بما يصل ٣٠،٠٠٠ كلمة.

ومن المقارنة المُمتعة: أن إنجيل الملك جيمس في ١٦١١م استعمل نحو ١٠،٠٠٠ كلمة مختلفة. والرجل المتعلم الوسط اليوم (وبعد أكثر من ٤٠٠ سنة من شكسبير) بالرغم من فائدة مجيء مئات الآلاف من الكلمات الجديدة منذ ذلك الوقت حتى الآن، لا تتعدى مفرداته المستعملة نصف مفردات شكسبير!!

فقد سجلت أعمال شكسبير كمّاً هائل من الكلمات؛ ومن أمثلة ذلك كلمات نحو: هوائي، خبطة (ارتطام)، لا يُحصى، يتضاءل، مُفعم بالأحداث، مُتشنّج، مُعقّد، يستعجل، منعزل (وحداني)، ضخم (كالنُصب البارز).

بل إنه المرجع المبكر لكلمة «مُلطّخ بالدماء». ومن صنائعه اللغوية المدهشة مثل: خالي البال سيئ الطالع (منحوس)، ملوّن بهيج (استعملها لوصف شهر نيسان)، ناطح السحاب (للأبراج)، مُقبّلة السماء (تلال)، بريء

باهت (للعين)، بينما تشكّل تعبيرات شكسبير اليوم جزءاً متمّماً لمفردات كل يوم مثل: (عين العقل (أي الخيال)، خفيار للجميع، رطلٌ لحم (تقال لدقّة الضبط وإلاّ فالعقوبة — من مسرحية تاجر البندقيّة)، شُهرة الفقاعة (للمهرج الكاذب)، بُرج القوة (تقال للشخص الثابت الموثوق)، المساعد القوي، تعوّد الشيء منذ الولادة، بلا حكمة لكن ذو جدوى، بالفيضان والحقل (أي بكل شيء)، يصرّح بالحبّ علناً.

ومن (هاملت) وحدها من الممكن تعداد نحو (٥٠) تعبيراً من هذه التعابير، حتى الرجل الذي لم يقرأ سطراً لشكسبير يستعمل تعابيره دون شعور كل يوم. فقد استخدم شكسبير الكلمات المركّبة مثل: مختلّ التوازن، عين الطفل، بوسيم الوجه (بلا تجاعيد). إذا كان مقامُ الكاتب يعتمد على استعماله تعابير شكسبير، يبدو إذاً شكسبير دون منافس. وتعبير (تكون أو لا تكون هذا هو السؤال) معروف حول العالم. ربما هذا هو التعبير الأشهر، والمستخدم في كل لغة أبداً.

استعارة الكلمات

١. نهضة الكلمات[٢]

حصلت إنجلترا حقّاً على نصر شهير (ضد الأسطول الإسباني)، وبوركت ببعض الحظّ، بنصرها على جيش متفوّق جداً. وحصلت اللغة الإنجليزية على خلاص كبير؛ لأن اللغة الإسبانية كانت لغة قاهرة وغازية.

فبعد عام ١٥٨٨م، نمت كفاءة البحرية في جزيرة بريطانيا الصغيرة بقوتها وفتحت العالم للتجارة. وهذا استجلب كميةً هائلة من البضائع، كذلك فإن اللغة الإنجليزية استوردت حمولةً هائلة من المفردات، ودخلت إلى اللغة الإنجليزية ١٠,٠٠٠–١٢,٠٠٠ كلمة جديدة أخرى في عهد الزابيث وجاكوب، وولدت خريطة العالم الجديدة مع أفكار جديدة.

كانت إنجلترا في أيام الأسطول الإسباني متخلّفة عن القوى الأوروبية الأخرى في حصولها على الفتوح الاستعمارية، وتخلّفت اللغة الإنجليزية جداً في تأثيرها في الخارج. وكانت اللغة البرتغالية آنذاك قد تركت بصمتها في البرازيل، وكانت تعضّ داخل أعماق أمريكا الجنوبية؛ فقد نُطقت اللغة الإسبانية في كوبا والمكسيك أكثر من نصف قرن، وكانت إسبانية آخذة بتجارتها، ودينها، وثقافتها مع لغتها في أنحاء العالم الجديد كلها.

قبل ٨٠٠ سنة مضت، سارعت اللغة العربية عبْر الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وكانت ما تزال تُسمى باللغة الإمبراطورية، بينما وطّدت اللغة الهندية نفسها وبسهولة لغة تداول إن لم يكن لغة الآداب في كل منطقة الهند المأهولة بالسكان (بينما كانت العربية لغة الآداب). وعلى مقياس صغير نسبياً في القرن السادس عشر، بدأت الإنجليزية تنتشر بتوسع إلى أجزاء من ويلز واسكتلندة وإيرلندة. على الرغم محدوديتها، وأظهرت اللغة الإنجليزية نهمها لكلمات جديدة، وقوتها لاحتوائها مباشرة في اللغة الأمّ. فعندما صادف البحارة الإنجليز طعاماً وفاكهة جديدة وعبؤوها في البراميل ليحرّبوا حظّهم في الأسواق جانب النهر في إنجلترا، جلبوا معهم الأسماء أو أنجزة الأسماء الأصلية، جعلها إنجليزية، معهم مثل: البرقوق، وسمك الأنشوفة، من أو عبْر إسبانية والبرتغال. لذلك فإن كلمات مثل: شوكولاته وطماطم جاءت من الفرنسية، وهما مثالان جيدان لبوتقة انصهار اللغة، (وكلمة طماطم قد يكون مصدرها أيضاً الإسبانية). نحو خمسين لغة أخرى التحقت بحمولة الكلمات الجديدة التي أُدخلت في هذه المرحلة وبرشاقة اندمجت في الإنجليزية. وفي بعض الحالات كانت هناك لغة وسيطة. وانتصبت لغة النهضة بالكلمات المستوردة. قصب (بامبو) من مالاي؛ سوق قيازار) عبر الإيطالية، وقافلة (كارافان) عبر الفرنسية، وكلاهما من أصل فارسي؛ قهوة وكُشك (تركية جاءت عبر الفرنسية)؛ كاري (بهار هندي) من التاميل، هلانيل (نسيج صوفي ناعم) من ويلز، المعلّم الروحي

(غورو) من الهندية؛ بعد ذلك كانت كلمات مثل: حريم وشيخ والكحول قد جاءت من العربيّة؛ وشيكل «شاقل» من العبرية؛ وبنطلون من الإيرلندية الكاليك. وخرجت السفن الإنجليزية إلى كلّ أنحاء العالم، تُتاجر بالبضائع وتنهب اللغة. لكن هذه اللغة أو الإدمان لم يكن مُقتصراً على الرجال في السُفن. كان هذا هو الوقت الذي بدأ فيه الفنانون والباحثون والارستقراطيّون الإنجليز باستكشاف أوروبا.

كان المكان المقصود المُفضل هو إيطالية صاحبة الثقافة المهيمنة في ذلك الوقت، التي امتلأت روعةً بالبناء المعماري، وبالفن، وبالموسيقا، وجلب الإنجليز معهم كلمات وصفت ما رأوا، ومرةً أخرى جهزت منصة لأفكار جديدة.

في هذه الحالة كانت هناك أفكار حول الانفجار الثقافي الذي سمعت به إنجلترا غالباً من مسافة جزيرتها. وعندما عادوا جاؤوا مندفعين بمشترياتهم من الكلمات من الخارج نحو: شرفة (بلقونة)، وتصوير جُصّي (فريسكو)، ودار ريفي (فيلا) من اللاتينية، وقبّة (كوبولا)، ومدخل ذو أعمدة (بوتيكو)، ومساحة (بيازا)، ومُصغرة منمنمة (ميناجر)، وتصميم (ديزاين)، وجميعها من اللغة الإيطالية كما هي الحال مع كلمات مثل: مسرحية موسيقية عنائية (أوبرا)، وكمان (فيولين)، ولحنٌ يؤديه مغنٍ واحد أو بآلة واحدة (سولو)، ولحن موسيقي لآلة أو اثنين (سوناتا)، وعزف سريع (تريل)، وحجر كريم ذو نقش (كاميو)، وصاروخ ناري (روكت) (وقد تكون أيضاً فرنسية)، وبركان (فولكانو)، وصوت النساء والأولاد في الموسيقا (سوبرانو)، والعزف على آلة بمصاحبة الأوركسترا (كونشيرتو) جاءت لاحقاً.

وكانت النهضة مسرحاً للبحوث والتدارس، أعيد تنشيط الفنون والمساعي التفكيرية في حقلٍ عدة بإعادة الكشوف للماضي التقليدي. والكثير منه انتقل لأوروبا الغربية عن طريق الباحثين العرب العباقرة عبر أعمالهم ومراجعهم العربية الأصيلة كما يشمل ذلك التراجم العربية للكتب الإغريقية أيضاً. حَقَن العرب الإنجليزية بكلمات جديدة ذات علاقة بالعلوم، والطب، والتعليم، والتجارة، وجوانب الحياة المُرفهة مع كلمات ذات علاقة بالطعام والطبخ والمطعم العربي. حقيقةً لولا العرب ما كانت نهضة أوروبا لتحدث أصلاً، ولو حدثت جدلاً لجاءت مجوّفة أو مقوّضة الأساس. أصبح العلم أكثر من اهتمام مشروع حول الأرض واكتشاف العوالم الجديدة. والطبّ كذلك أفاق في أوروبا من نومٍ دام أكثر من ١٠٠٠ سنة. وكانت اللاتينية والإغريقية اللغتين اللتين يلجأ إليهما الباحثون في دراساتهم؛ وعبر تلك اللغة القديمة وصفوا ما وجدوا من نتائج، فعبر اللاتينية استعرنا كلمة مفهوم (من المفاهيم) أي (كونسيبت) واختراع (إنفنشن) وطريقة تقنية (تكنيك).

تعطينا نظرة فاحصة للكلمات المستعارة من اللاتينية والإغريقية في الحقل المتطور للطب لقطةً فوتوغرافيةً لذلك الوقت. وكان الوسم التقليدي لمصطلحات الطب ناجحاً جداً في أثناء النهضة لدرجة أنه استمر منذ ذلك الحين حتى اليوم. ضمن مئات الكلمات التي وصلت من الإغريقية عبر اللاتينية وهي: هيكل، ووتر، وحنجرة، ومرمار، ومُفكلة (بنكرياس) من اللاتينية، كما أخذت الإنجليزية: طُنبوب (عظم الساق تيبيا)، وجيوب، ودرجة الحرارة وحُمات (فيروسات جمع فيروس أو حُمّة) وهذيان وصرع. كذلك طُفيليات، وذات الرئة (التهاب رئوي) حتى مقياس الحرارة، والمقويّات، ومحفظة (أو جفنة بالكيمياء، أي كبسول) كلها كلمات من الأصل التقليدي. نحن نتكلم عن أجسامنا بألسُن قديمة.

٢. استعارة الكلمات من العالم كلّه (الاستكشافات والاستعمار)[١٠]

استعارت اللغة الإنجليزية كلماتٍ من كل أنحاء العالم بالإضافة إلى المصادر الأساسية الثلاثة التي عالجناها، ابتداءً من الإسهامات العبرية للإنجيل، مثلاً ملاك أو طفل وديع (شيروب)، وسبت، وشيبوليث (شعار أو كلام مُميز)، والمصطلحات العلمية التي نحن مدينون بها للعرب الذين كانوا أعظم حُفّاظٍ للعلم في العصور الوسطى، مثل الكيمياء، والجبر، وسمت (ذروة)، وصفر.

كانت ضيافة الإنجليزية للكلمات الأجنبية غالباً مدار تعليق؛ وإن الاستعارة هي الطريقة الخاصة، التي بها توسّع الإنجليزية مفرداتها، وهذا ما يميّز الإنجليزية عن أقاربها الحميمين كالألمانية[1]. منذ أيام النهضة، الترحال إلى أوروبا أصبح شائعاً وأهم قُطر في التجوال الكبير كان إيطالية، التي منها أخذت الإنجليزية حشداً من الكلمات المتعلّقة بالموسيقا، الفن والبناء المعماري، يُعطي العنصر الإسباني للإنجليزية دلالة للصراع الإنجليزي مع إسبانية، ونواع الثروات في العالم الجديد، في حين أخذت الإنجليزية من هولندة، كما هو متوقع، كلمات الإبحار وجزءاً من المفردات الإنجليزية، وبعض الاستعارات الأوروبية قطعت رحلات طويلة لتصلنا مثل بوص (آي رئيس أو حاكم) التي عبرت الأطلسي مرتين في طريقها من هولندة إلى إنجلترا، وكوبرا (أفعى سامّة جداً) وبادري (قسيس الأسطول) أصطُفيت في الهند.

المُصادفة أعطت شيوعاً فجائياً للكلمة، مثلاً بوش (لا شيء)، كلمة تركية في الاستخدام الشائع، جاءت متكررةً في القصة الشرقيّة (مغامرات حاجّي بابا من أصفهان) لـ (موريير ١٨٣٤)؛ جالب الحظ (ماسكوت) ترجع لمسرحية (آنـرين «لا ماسكوت» في ١٨٨٠)؛ وكلمة زيوط (أي إنسان آلي أو روبوت) الشيكيّة من تمثيلية كارل كابيك «ربوطات رسوم الجامعية» المُنتجة في لندن عام ١٩٢٣م.

قصة الإنجليزية من عام ١٥٠٠ بعد الميلاد، وبعد ذلك هي واحدة من قصص النمو المستمر.

اكتشف المكتشفون الأراضي الجديدة، الحاوية نباتات جديدة (البطاطا، والطماطم، والتوليب من الفصيلة الزنبقية)، حيوانات جديدة (جاموس البحر «هيبوبوتاموس»، زرافة، كنغر)، طعاماً ومشروبات جديدة (شاي، قهوة، رمّ «شراب مُسكر»)، أعاد المفكرون اكتشاف كلمات وأفكار إغريقية (ديمقراطية، أرستقراطيّة، خط الاستواء). احتاج المصلحون الدينيون إلى كلمات جديدة ولمفاهيم جديدة (استحالة، أي تحوّل الخبز مع الخمر إلى دم وجسد المسيح)، سرّي غامض؛ اللا إرادية). وأخيراً، أضاف كبارُ الفنانين والعلماء كلمة إثر كلمة، بما استهدتهم تجاربهم نحو الآفاق الجديدة للتفكير. ومن الشائق لحظ أوائل استخدامات الكلمات بما وثقت النمو الكبير للإدراك الإنساني. (تبخّر) استخدمت ابتداءً في ١٥٤٥، (فراغ) في ١٥٥٠، والقطع المكافئ (بالهندسة) ١٥٧٩، وهيكل ١٥٧٨، وعوضة ١٥٨٣، ومختبر ١٦٠٥، وغلاف جوّي ١٦٣٨، ومجهر ١٦٥٦، وستالاكمايت (الصواعد أو الحُليمات السُفلى – رواسب كلسيّة في أراضي المغارات) ١٦٨١، أعطى المُعجم الإنجليزي الكبير لأكسفورد آلاف الأوائل كهذه. هناك مفاجآت كثيرة، مثلاً: الكلمة أكنوستيك (أي لا إرادي) اختُرعت في إحدى الأمسيات في ١٨٦٩، من قبل المفكر الفيكتوري العصر ت. هـ. هُكسلي[2].

اكتسبت الإنجليزية مخزوناً كبيراً من الكلمات مع اكتشاف العالم أغلبها أسماء حيوانات ومنتوجات غريبة، وبعكس الهولندية جنوب الإفريقيّة، التي اصطنعت أسماء منها للحيوانات والأزهار (لذلك كلمات مثل سبرنج بوك أي ظبي رشيق القفز)، أخذت الإنجليزية هذه الكلمات جاهزة الصنع من أهالي البلد.

كانت النتيجة أن المعاجم الإنجليزية تحوي عدداً هائلاً من الكلمات الدخيلة أكثر من الأقطار الأخرى. المخزون الإنجليزي للكلمات، كبير جداً الهندية تحديداً، ويحوي عدة مصطلحات شائعة لدرجة أن الإنجليز يكاد يظنونها أجنبية، مثلاً: بنغل (بيت من طابق واحد بالريف أو على الشاطئ)، كوخ، وغنيمة نهب، ومنامة (بيجامة)، وتودي (عصارة النخيل المُخمّرة). كلمة الهنود الحمر (طوطم) وجزيرة البحر الجنوبي (تابو أي رجسٌ محظور) وزوّدوا مصطلحات مُفيدة لعُلماء الجنس البشري: البُمرنغ الأسترالي (قطعة خشب ملويّة تُقذف وترجع لصاحبها) أعطانا كلمة مكافئة مجازياً (الأذى يرجع لنحر صاحبه): ترجمنا من الصينية العبارة «الحفظ ماء الوجه»، و«نرفانا» (السعادة القصوى بقتل شهوات النفس فيُنسى الألم من البوذية)؛ ومن التعابير الهندية التي لا يمكن التعبير عنها بغيرها.

حصلنا مع الاستكشافات الجغرافية، على ذُرة (ميز)، بطاطس، (كانيبالز) أي أكلة لحوم البشر من اللغات الهندية، و(كانيبالز) جاءت من تسمية بديل لاسم قوم الكاريب. ويسمون أيضاً (كانيبيلز) وهم أسطورة لشراستهم ووحشية معاملة اسراهم. قوم الكاريب (أو الكاريبي) أعطوا الإنجليزية: كيْمن (أي تمساح أمريكي استوائي)، كورار (يستخرج من نباتات استوائية يستخلصها هنود حمر أمريكا الجنوبية لتسميم سهامهم التي تُثلّ الضحية)، وبقري (حيوان أمريكي شبيه بالخنازير) ضمن كلمات أخرى. واخذت الإنجليزية من الأقوام المحليين الآخرين الأساسيين الآراواكس، هوريكان (أي حركان وهو إعصارٌ مصحوبٌ بمطر ورعد وبرق) (كذلك ميز اي ذُرة)، جوافة، هاموك (أي أرجوحة شبكية)، إكوانا (وهي عضاية أمريكية استوائية ضخمة أكلة للأعشاب)، وسفانة (بطحاء، لا شجر فيها). ومن الهايتي: كنُو (زورق طويل خفيف) وبطاطا (بطاطس). ولكن بمجرّد الخروج من بحار الغرب، فإن الإنجليزية سلبت وغنمت لسان كلّ سفينة اعترضتها.

جاءت شوكولاتة من نواتل وازتك والمكسيكية، چيلي (فلفل أحمر صغير حارّ)، افوكاته (ثمرة كالإجّاص الكبير)، كاكاو، كواكومول (طبق من افوكاته مهروسة مع طماطم وبصل وتوابل)، وتاماللي (طبق مكسيكي من دقيق الذرة واللحم المفروم وصلصة الفلفل الأحمر يعجن ويُغلّف بقشور الذرة ويُطبخ بالبخار او يُشوى)، طماطم، قيُوط (ذئب شمال أمريكي صغير)، أسلوت (حيوان أمريكي يشبه النمر)، مسكل (نوع من الصبّار أو مُسكر يُستقطر من صبّار المسكل المكسيكي)، بيّوت (صبّار أمريكي يحوي مادة مخدّرة). جاءت الكثير من هذه الكلمات على نحو غير مباشر عبر اللغات الاوروبية الأخرى.

لقد قهر الإسبان البيرو، ولكن الإنجليزية كانت هناك بسرعة لتقتنص كوندور (نسر أمريكي ضخم)، لاما (حيوان أصغر من الجمل في جنوب أمريكا وليس له حدبة)، بوما (الكوجر أو اسد أمريكي)، كوكايين (مادة مخدرة تُستخرج من أوراق الكوكا المُجفّفة)، كينين (مادة قلوية مُرّة تُستخدم لعلاج الملاريا)، غوانو (سماد من ذُرق الطيور البحرية). لغات البرازيل مثل توبي وغواراني هي المصدر الأصلي لكلمات: كوجر (أسد أمريكي)، يغور (نمر أمريكي)، بيرانا (أو كاريبا وهو السمك الضاري في جنوب أمريكا ياكل لحم البشر)، ماكاو (ببغاء أمريكي ضخم طويل الذيل)، طوقان (طائر ضخم المنقار)، كازو (بلاذُر شجر ذو ثمر بقشرة في الهند وامريكا)، تبوكه (مستحضر نشوي لصنع الحلوى). كانت الإنجليزية الصياد الحاصد للمفردات، والكشّاس الكاسح للأرض والبحر، أصبح ملاّح البحر الإنجليزي بطلاً شعبياً ولا سيّما عندما كان يزعج ملك إسبانيا الكاثوليكي، الذي وضع سعراً لرأس الملكة إليزابيث. كانت القرصنة وطنيّة وسُمّوا (فريبوترز) أي قُطّاع الطرق القراصنة، (فيليبوسترز) أي مغامرون عسكريون غير نظاميين (القرن السادس عشر)، و(برايفتيرز) أي مراكب قراصنة بتفويض حكومي، وكلاب البحر القدامى: أي الملاّحون المهرة (القرن السابع عشر). قطلس (سيف قصير ثقيل مقوّس يستخدمه البحّارة) كانت رمزاً للقراصنة في قرن سابق. (جولي روجر) أي راية القراصنة السوداء بالجمجمة والعظمين المتصالبين في قرن لاحق، لكن السرقة والعنف في المحيطات المفتوحة حصلت على أخبار صحافية جيدة في بريطانيا وأصبح لكلمة (بوكانير) أي قرصان مُغامر في السياسة والتجارة، مدلولٌ في مغالاة الوصْفيّة والتحايل[٣].

بدأ الاستيطان الإنجليزي في (بيرمودا) في عام ١٦٠٩، ووصلت الكاريبي في عام ١٦٢٤ عندما استوطن توماس وارنر مع ١٢ مرافقاً في الخليج الرملي (القديس كيتز). وفي عام ١٦٢٦، وصل أوائل الرقيق الإفريقي في (القديس ليتز)، الذي كان اول موضع اتبّع فيه البريطانيون مثال غيرهم من الأمم الأوروبية الأخرى، واستغلّت انتظام عمل الرقيق الأسود. للبداية كان التبغ هو العلّة. وأثبت السكر أنه أكثر ربحاً – ويحتاج إلى عمل أكثر فازداد عدد الرقيق عبْر أمم الهند الغربية المسحوقة ودون استئصال كامل دخل لسانهم القومي الداعم والملتحم مع النسيج

الأوروبي المزروع. وهكذا جاء غزو اللغات الإفريقية، حتى انتهاء القرن السادس عشر، فاق الأفارقة عدد الأوروبيين وتنا السكان الأفارقة على نحو كبير في القرن المقبل.

العنصرية والعنجهية في اللغة الإنجليزية[٣][١]

كانت الإنجليزية لغة انقسمت إلى عدة لهجات، وغالبا ما تظهر الفروق الكبيرة في المفردات واللفظ. ربما تفوق العلية الفرنسية (بعد الغزو النورماندي)، وموقف عنجهيتهم في التنصل من الموطنين والفلاحين الأنجلوساكسون، أثر في مسار استعلائي متكبر للغة الإنجليزية. ومن بعد ذلك أصبح المثلث بين كامبردج، لندن، وأكسفورد المُمثل التقليدي للغة الإنجليزية، لغة الملك والملكة. ربما هذه العنجهية أفرزت تلفظا متراخيا لكلام الرجل الإنجليزي وكأن كرة زجاجية (بُعبلة) تتحرك بفمه ليُظهر موقعه الاستعلائي مع الآخرين. كان العنجهيون الإنجليز داخل بريطانيا يصنّفون الناس إلى طبقات، حسب نبرة لهجاتهم: لذا يميزونهم إلى اسكتلنديين أو ويلزيين أو ايرلنديين، وبذلك ينظرون إليهم بوضاعة على أنهم طبقة أدنى منهم. تطوّرت العقلية الاستعمارية (الاستعلائية) خارج بريطانيا أيضاً، مع تشييد الإمبراطورية البريطانية، ومع النمو السريع للغة الإنجليزية، ظهرت العنصرية.

تمثيل السلطة، والعنجهية (التنفجية أو التنفخية) والتمايز المُدلّل في نمط الحياة، الطبقة الاجتماعية المتفوقة، وفي نبرة اللهجة، أدت دورا مُسليا في مغامرة الإنجليزية: (تكلّمْ كما تتكلّم وإلا فإنك تثبت أنك دونٌ تحتنا)، هي قرار الإحجام للعلية المُسيطرة من طريق سلطان اللغات.

تُرغم العُنصرية المجاميع الأخرى لتكون الأدنى. الاحتقار العنصري هو دوما إظهارٌ للقوة، ومحاولة للسيطرة التامّة، واستعمال اللغة لنشر الرعب، مُقوية بذلك الجهل والتحيّز ضد الآخرين. وفيما يوصف غالباً بالرواية الإنجليزية الأولى: — (روبنسون كروزو) فإنّ بطل المؤلف (دانيل ديفو) المسمى (كروزو) بعد تحطم السفينة لاقى في الجزيرة مواطنٌ أسودٌ وُضع في الجزيرة عقاباً له أملاً في موته. كروزو يقول: (كلمت أفهمهُ بعدة أشياء، وأعلمتُه بسعادتي به، وفي وقت قصير بدأتُ أتكلم معه، وأعلمّه ليتكلم معي، أولا عرفّته أن اسمه يجب أن يكون (جُمُعة)، وهو اليوم الذي أنقذتُ حياته،أنا سميّته هكذا لذاكرة الوقت، وبالمثل علّمتُه أن يقول سيد، وبعد ذلك أعلمتُه أن ذلك هو اسمي، كذلك علّمته أن يقول: نعم، ولا، وأن يعرف معناهما).

هذه فقرة استثنائية غنيّة بالانتقاءات، كان هناك إنقاذ حياة ولم يكن هناك استعمال للقوة بل للغة التي يبدو أنها طريقة التحكّم: وبأن كلمة (سيد)، كلمة تعذّب الكثير من الرقيق بالتأكيد. ولكنها كانت سيدا في ١٧١٩، وبعض الطرق خطت هذه الكلمة وحدها مسار الـ٢٠٠ سنة الآتية.

لا تُقال كلمة (زنجي) في الكثير من البلدان الآن على وجه هذا الكوكب. بغضّ النظر عن تاريخها المُحايد، حيث جاءت من الكلمة اللاتينية للون الأسود، ثم من الفرنسية تبنّتها الإنجليزية، (زنجي) تحمل جلدة سياط المستعمرات الزراعية.

كذلك (زوج) المفترض بها مختصراً (السيد الشرقي المحترم) وهي سُبّة للأجنبي غير الأبيض: (سامبو) من الإسبانية (زامبو) وتعني سُبّة للمُولّد من أب أبيض وأم سوداء أو العكس، أو شخص من نسب مختلط هندي أو إفريقي: (كولي) من كلمة تامل، وهي سُبّة لشخص مُستأجر هندي أو صيني مُهاجر إلى مدينة أجنبية: (كافر) من الكلمة العربيّة وهي سُبّة تعني (غير مؤمن): (داكو) من الإسبانية (دياكو) وهي سُبّة تعني رجلاً من أصل إسباني، برتغالي، أو إيطالي: (فروك) أي ضفدع، وهي سُبّة الرجل الإنجليزي للهولندي ثم للفرنسي احتقارا له لأكله الضفدع، وكره الإنجليز للفرنسيين. (سافج) أي متوحش دون تمييز. (كافر) أستخدمت لإهانة البريطانيين

في الهند قبل امتصاص الإنجليز لها، بوصفها كلمة إهانة في جنوب إفريقيا. (بربري) تستخدم بشيوع مثل متوحش (ساقع)، يمكن تتبعها إلى كلمة إغريقيّة للتلعثم واستخدمها الإغريق لوصف اللغات الأخرى والضحك على أصواتها المخالفة للفتهم.

اليوم وبعدُ[1][2][3][4][5]

(جون آدمز) ثاني رئيس للولايات المتحدة، كتب رسالة في ١٧٨٠؛ (يُقدّر للإنجليزية في القرون اللاحقة التي بعدها عموماً أن تكون لغة العالم بدلاً من اللاتينية في العصور السابقة أو الفرنسية في العصر الحاضر. سبب هذا واضحٌ لازدياد سكان أمريكا وعلاقتهم ومراسلاتهم الكونية مع كل الأمم، الذي بمساعدة تأثير إنجلترا في العالم (سواءٌ كان كبيراً أم صغيراً) سيُقحم لغتهم بالقوة للاستعمال العام بالرغم من كل العوائق المُلقاة في طريقها إذا كانت هناك).

لقد وضع آدامز اللغة الإنجليزية في قَدَر أمريكا ولا يختلف عن هنري الرابع وإليزابيث الأولى بما فعلوه لإنجلترا ذاتها. التكلّم البسيط بالإنجليزية قد دعمّ المثال الديمقراطي الأمريكي. ما عادت الإنجليزية لغة الملك بل لغة الناس، حتى إنه حاول أن يؤسس أول أكاديمية عامّة ليهذّب ويُحسن الإنجليزية لكنها لم تؤسس.

فُتن الأمريكان الأحرار بما يمكن أن تفعله بلادهُم الجديدة مع ما يرونه الآن كلُغتهم. (نوح ويبستر) كتب «شمال أمريكا سيسكنه مئات الملايين من البشر، كلهم يتكلم اللغة نفسها... سكان ربع العالم سيتشاركون ويتخاطبون مع بعضهم كأطفال الأسرة الواحدة». نوح ويبستر الحالم كان معلم مدرسة، كتب كتاب صغيراً يعرف بـ (كتاب التهجئة الأمريكية). وبيع في المخازن العامة بـ ١٤ سنتاً للنسخة الواحدة، وبعد مئة عام بيع منه (٦٠) مليون نسخة، أكثر من أي كتاب في أمريكا، باستثناء الإنجيل. لم يكن ويبستر معجباً انجليزية الأرستقراطيين المقطعة للحروف الليّنة واختبار صفّه بالمدرسة كان مصمماً لمعارضته. فهو أراد تعليم أمريكا للتهجئة، ومُعانقة الأمة كلّيا للتهجئة دل على أنهم يعاملون لغتهم بعناية وجدية[3].

واستمرت عملية الامتصاص. فاللغة الإنجليزية تبدو متعطّشة للكلمات الجديدة. الطرق الجديدة للتواصل السريع مع التعقيدات النامية دوماً في عالم الحاسوب وشبكة الاتصالات العالمية بالحاسوب (إنترنت) تنتج فعلياً لغة جديدة إضافية. فمكاتبنا مزدحمة بال (فاكس) و(المودم) أي إرسال الوثائق عبر الهاتف، و(ماوس) أي فأر الحاسوب.

وانتشرت الإنجليزية عبر العالم، وأصبحت وفق الأغراض العملية ما يمكن عدُّها لغة عالمية حتى التزود بالإنجليزية المتعثّرة، تجعل المرء مفهوماً عملياً بأي مكان. هذه اللغة الشرهة والحيوية والنابضة بالحياة لها مدخل مثير. المستقبل سيرى بالتأكيد عدة تغييرات أخرى. فإنها لن تتوقف راكدة.

إنه هذا الغنى بالمفردات، والمصحوب بالاستعمال العملي، الذي يجعل الإنجليزية بالمزاج الدولي، أغنى لغة وأكثرها تعبيرا، وأكثرها مرونةً بين جميع اللغات الأوروبية. من منتصف القرن العشرين فاضت اللغة الإنجليزية حول العالم كله حتى إنه في عام ٢٠٠٠، لم يستغرب أحد أن البابا الذي يتكلم البولندية، وهو رأس الفاتيكان المتكلم باللاتينية، عند وصوله للدولة المتكلمة بالعبرية (إسرائيل) تكلم بالإنجليزية قائلاً: (لتكن هذه هبة الرب لأرض هو اختارها لتكون له – سلام !) كما لم يكن مستغرباً لأحد أن الكثير من الدبلوماسيين وقادة الدول في الأمم المتحدة يتكلمون إلى صحافة العالم بالإنجليزية. والإنجليزية هي اللغة الأولى بين الأمثال في الأمم المتحدة، وفي (ناتو)، وفي بنك العالم، وصندوق النقد الدولي، وهي اللغة الرسمية الوحيدة لدول الـ (أوبيك) أي مُنظمة الدول المُصدِّرة للبترول، واللغة العملية الوحيدة بين اللغات الأوروبية في الجمعية الأوروبية للتجارة الحُرّة. وكطريقة تفكير

جنبي يمكن النظر إلى مقدار القوة الاقتصادية للغات المختلفة مُقاسة ببلايين الاسترليني. فالصينية تُثمن بـ ٤٤٨ بليونا، والروسية ٨٠١، والألمانية ١٠٩٠، واليابانية ١٢٧٧، والإنجليزية ٤٢٧١ بليون إسترليني. فالإنجليزية أيضا هي لغة البيع والشراء ولغة الأسهم في سوق البورصة[1].

بالنتيجة، فالإنجليزية بعيداً عن التنامي الخارجي الحديث، هي التحام ٣ عناصر رئيسة – الإنجليزية القديمة (الأنجلوساكسونية مع النرويجية القديمة)، الفرنسية القديمة، واللاتينية، عبر وسائط نقل الفرنسية واللاتينية، فالإنجليزية تتضح بوفرة من الكلمات والمصطلحات العربية أكثر كثيراً من الكلمات الإغريقية، وربما تساوي أو تتفوق على) بسهولة إسهامات أحد العناصر الثلاثة منفردة، على الرغم من أن أكثر المفردات الصميمية للإنجليزية مُستقة من الإنجليزية القديمة (مثلاً يد، وراس، وزوجة، وطفل، وصخرة، واسم، ورجل، وسمكة، وركب، واختار، ورحل، وأحب!.. إلخ) – المعجم عموماً توسّع كثيراً بالاستعارة من اللغات الأخرى. الاسكندنافية أثرت في بعض المظاهر الأساسية للغة، مثلاً نظام الضمائر (هم، ولهم، وهم) ونظام النحو (مثلاً إلحاق بعض الأفعال بال – S وصيغ تصريف الجذور مثلاً أحب) كذلك فإن بعض أجزاء المفردات الصميمية هي اسكندنافية الأصل (مثل أخذ، ومريض، وبيضة، وجلد). إسهامات العربية كذلك واسعة جداً بالرغم من الجهل بها (انظر الفصلين الثالث والرابع من المقدمة وانظر المعجم كاملاً) – الفرنسية لها تأثير على مدى المواد المعجمية المتوافرة في هذه اللغة[2].

المراجع

(0) Readers are referred to the beginning of **Chapter One: Arabic, Language of Paradise And Mother Tongue of Adam on Earth,** with the relevant references.

1. Michael Falcon, WJ Blyton, Richard Church, et al. **English Language and Literature**. New Educational Library. Oldhams Press Ltd. London (Undated). Pp 7 – 29.

2. David Hillam. **English Word Origins**. Pocket Reference Books. Bournemouth, 1996. Pp 129 – 32.

3. Melvyn Bragg. **The Adventure of English (The Biography of a Language).** Sceptre (Hodder & Stoughton), England, 2003.

4. Melvyn Bragg. **Foreword**. In **The Chambers Dictionary** (New Ninth Edition). Editor – in – chief: Ian Brookes. Editorial Consultant: Catherine Schwarz. Editors: Christina Gleeson, Michael Munro, Megan Thompson. Chambers Publishers, Edinburgh 2005.

5. Jeremy J. Smith. **A short history of English**. In **The Chambers Dictionary** (New Ninth Edition). Editor – in – chief: Ian Brookes. Editorial Consultant: Catherine Schwarz. Editors: Christina Gleeson, Michael Munro, Megan Thompson. Chambers Publishers, Edinburgh 2005.

6. P G Foote and D M Wilson. **The Viking Achievement (The society and culture of early medieval Scandinavia)**. London, published by Book Cub Associates by arrangement with Sidgwick and Jackson Ltd. First editi on 1970 and also published on 1974. Pages 107, 191, 198, 200, 201, 399, 408, 412.

obeikandl.com